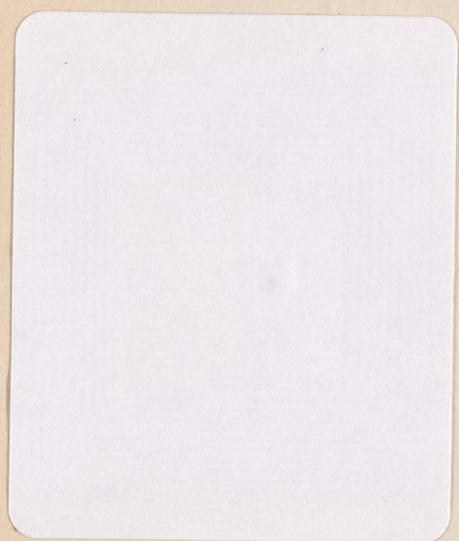
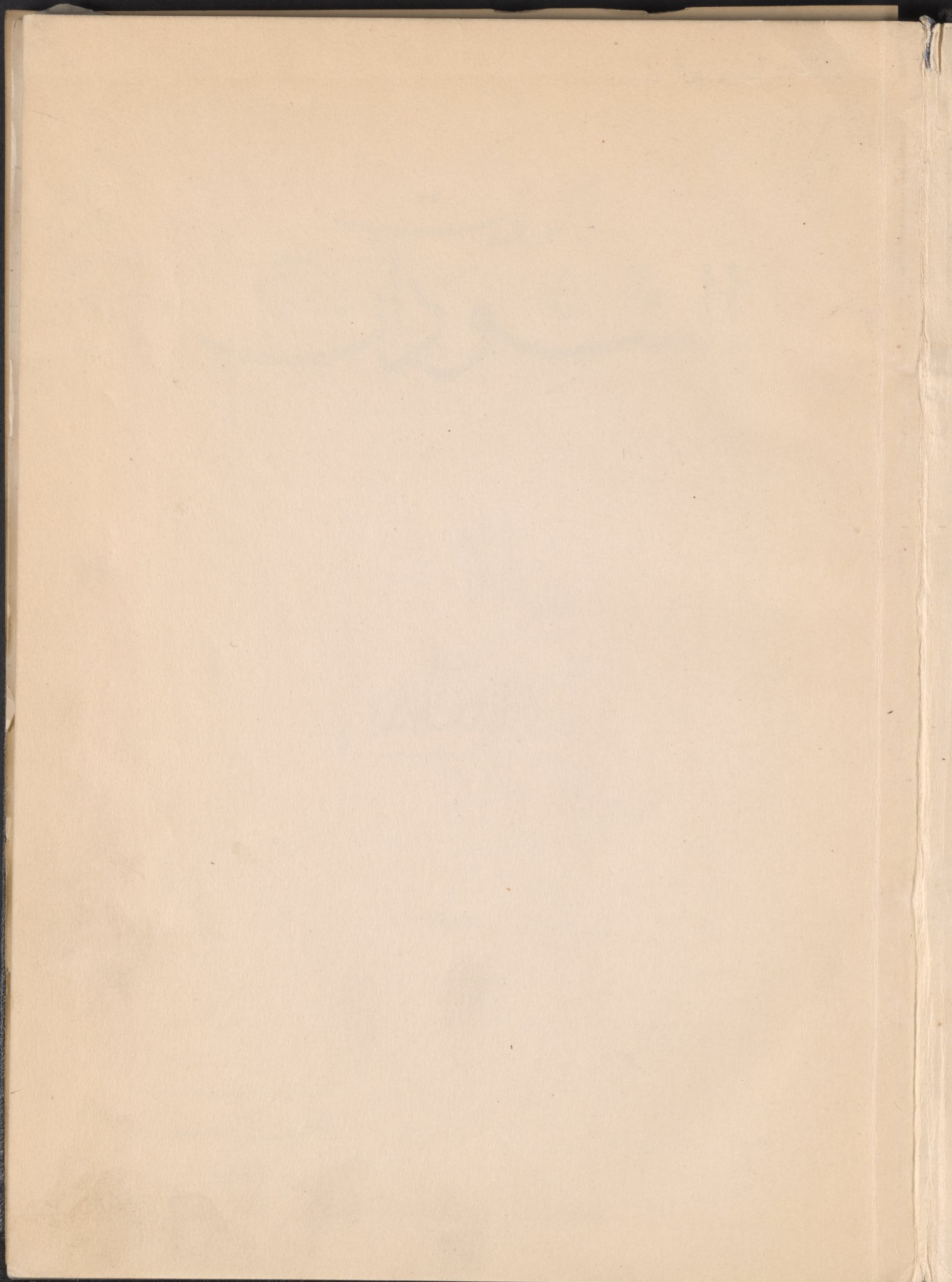








02-B5798

AMERICAN LIBRARY
DT
108
N3x
1955
c.1

ذكر يات السيرة

بقتله
الشيخ يوسف نجاس

١٩٥٥

المطبعة العصرية
بالقاهرة



۹۷۱،۴۴
ن.ی.ز
۷۵
۷۸

36633

الكتاب والمؤلف

تعريف

ما أغنى هذا الكتاب ومؤلفه عن تصدير أو تذييل ، فالكتاب يحمل فضائله
بين دفتيه ، والمؤلف يحمل مجده الشامخ على كتفيه . فأين موضعي بين هذين ؟
ولكن لهذا الكتاب قصة ، هي التي أقحمت كلتي هذه بين صفحاته .

فكلما زرت صديقي الجليل العزيز الدكتور يوسف نحاس ، والودادُ بيننا صفو ،
حدثني عن السودان ، فلمس مني حديثه شغاف القلب ، لأنني عشتُ في السودان
باكورة عمرى ، وكان أبى وآلى موظفين في السودان .

ولما عرّجتُ على داره أو صاحبه إلى مكانٍ خلاء ، حدثني عن شاعرنا
الكبير البرّ المرحوم الأستاذ خليل مطران ، فبرز حديثه في نفسي وتراً كثير
الأنغام ، لأنني عرفت خليل مطران معرفة وثيقة لم تنفصم عروتها إلا يوم نعاها
الناعى ، وكنتُ أماسيه وأعوده بانتظام حتى فرّقت المنية بيننا ، ولكنها صمدت
صمود العاجز أمام ذكرى إلفين تواداً وقلبين تحالفا ، وستخلد في نفسي ذكرى
مطران تعطر بأريجها حياتي ما دام في عرق ينبض وعقل يدرك وقلب يدق .

وما من مرةٍ زرت فيها الدكتور نحاس ، إلا تشعب بنا الحديث في كل
اتجاه ، وعاد يدور حول السودان و خليل مطران ، ففي هذين الاسمين جاذبية
عجيبة ، ولهما سحرٌ خاص .

وفي أثناء حديث من تلك الأحاديث ، سألتُ الدكتور نحاس عَرَضاً :
أفلا تستحقّ ذكرياتك عن السودان ، ولا سيما زيارتك له في رفقة
خليل مطران ، تسجيلاً ؟

وتاه السؤال في خضمّ الحديث .

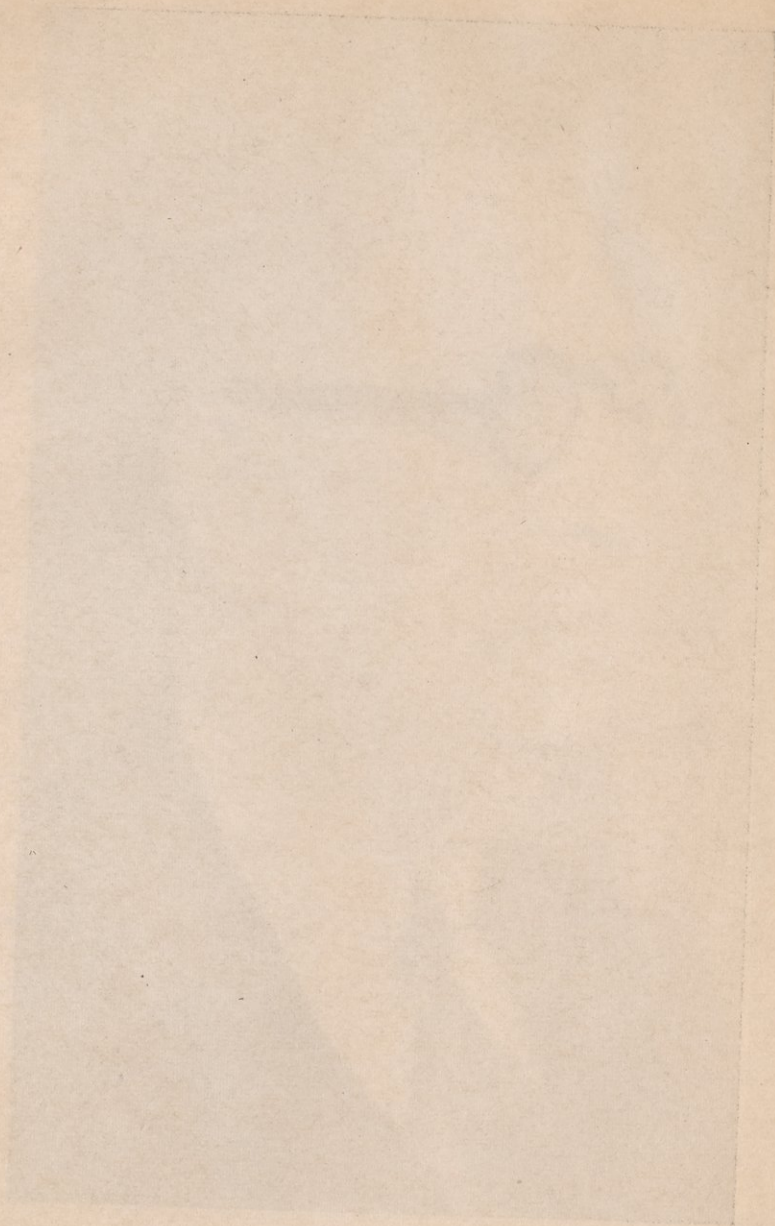
وعدتُ ألحّ في السؤال ويلحّ في الإعراض قائلاً : دع ذكرياتي لنفسى .

فقلت له : لستُ أتحدث عن الجانب الخاص من هذه الذكريات ، ولكنني أتحدث عن الجانب العام منها ، فهذا حقٌّ مشاعٌ لا يصح أن تحتكره أو تضمن به .
ومدّ الدكتور نحاس يده إلى أضيابه - وهي تلال - واستخرج منها إضبارة كتب عليها « رحلتى للخرطوم من ٢ يناير ١٩٤٥ إلى ٤ مارس ١٩٤٥ » ، وأخذ يقلّب صفحاتها ويتلو أوراقها الكثيرة المبعثرة ، ويتصفح ما دونّه من مذكرات وما نشره من فصول وما تلقاه من كتبٍ وما احتفظ به من بطاقات ، ثم قال لى : خذ هذا الورق ، فإن وجدت فيه فائدة عامة ، فقد صار ملكاً للناس جميعاً ، وإن انتفت منه الفائدة وخلا إلا من الجانب الخاص ، فقد حقّ لى أن يحتفظ به لنفسى .

وبعد أيام سألتنى الدكتور نحاس : أنشره أم أطويه ؟
فقلت : بل انشره ولا تطو شيئاً ، فثلك يصنع التاريخ وهو لا يدري .
وقد سعدتُ كثيراً بقربى الدكتور نحاس ، وخبرتُ كثيراً من اتصالى به ، ولا يزال مرجعياً كلما استعصى على أمرٍ وملاذئ كلما استشكل على شأن .
وقد هيا لى عملُ الصحافة أن أرجع إليه كثيراً كلما عرض لى موضوع ذو إيهام وكلمة أعوزنى رأى سديدٌ فى بابٍ من أبواب الاقتصاد .
وعرفت الدكتور نحاس فضلاً عن ذلك أديباً مبرزاً ، مجلوا العبارة فصيحاً ، يملك ناصية اللغة ويجدد فيها بما يستنبطه من مصطلحات دخلت علم الاقتصاد ، ويحفظ الشعر ويستعيد بحافظةٍ منيعةٍ تتأبى على النسيان ، ويرتجل رأى الحكيم ولا سيما فى ميدان تخصصه ، ويجاهر بما يعتقد ، لا يثنيه عن ذلك وعيد أو تهديد .
عرفته جندياً شريفاً يحارب فى العن وصدّره مكشوف للطعان ، ينازل أعلام الاقتصاد منزلة الأقوياء فتكتب له الغلبة لأنه ناصر الحق وحالف المنطق وراعى مصلحة الفلاح قبل أن يرعى حتى مصلحته الخاصة . وقد أمضيتُ بين مطولات الدكتور نحاس التى نشرها فى الصحف فى خلال الخمسين سنة الأخيرة ، أوقاتاً كثيرة ، فبهرنى هذا الرجل المسكين فى علمه ، العفيف فى لفظه ، الأديب فى ما يسطّره ، الأنيق فى عباراته ، القادر على أن يخوض المعامع بلا وجل ،



الدكتور يوسف نحاس



Faint, illegible handwritten text.

المتصدى للمحن والضائقات ، لا تكاد بواورها تظهر في الأفق حتى يكون صوت الدكتور نحاس نذيراً يحذر من عواقبها ويرشد إلى وسائل دفعها . وقد أحسن الدكتور نحاس حين جمع شتات بعض هذه الفصول والمحبرات في كتب أربى عددها على اثني عشر كتاباً ، ولكن هناك من المقالات والتقارير ما يملأ عدداً مماثلاً من المصنفات الضخام ، وليته يعجل بنشرها ، وفاءً بحق الأجيال عليه .

وعرفت الدكتور نحاس رجلاً في الملمات ، شهماً مع الخصم قبل الصديق . وسواء كتب أو تكلم ، فلا إنصاف دينه وديده ، يجاهر بالحق ولو انقلب عليه ، ويدود عن المظلوم ولو ناله من ذلك غُرم أي غرم . ولولا علل الشيخوخة ، لكان قلم الدكتور نحاس كهده ، سريعاً في التعبير عما يخالج النفس ، مطواعاً في معالجة المسائل العامة ولا سيما ما يتصل منها بالاقتصاد من قريب أو من بعيد . فالمهادنة التي آثرها الدكتور نحاس اليوم مفروضة عليه على غير رغبته ، والتبعية في ذلك تلقى على عاتق شيخوخة البدن لا شيخوخة العقل ، فعقله ما برح شاباً ينشط في توثب ويسبق الزمن ويسابقه .

وهذا الكتاب صدق من ألفه إلى يائه ، وكل ما فيه واقع لا يأتيه باطل ، فلا الأيام عدت على أحداثه ، ولا النسيان استطاع أن يقربه . وهذه مزية تطبع جميع مصنفات الدكتور يوسف نحاس ، وهي لهذا تعد مراجع تاريخية يعول عليها كل التعويل . وما هذا الكتاب إلا حلقة من الأسفار التاريخية التي دونها الدكتور نحاس في بضع السنوات الأخيرة ، فسيجل فيها ، بهذا الصدق عينه ، ذكرياته عن مفاوضات عدلى - كرزن ، وعن سعد زغلول وعبد العزيز فهمى وعلى ماهر وغيرهم من الذين كان لهم دور على مسرح الحياة .

وإننى لأجد سعادة غامرة في التعريف بهذا الكتاب ، أما مؤلفه ، فحسبي أن أقول فيه ما قاله أبو شادى في صنوه ورصيفه مطران :

هذا هو الخالد الموهوب أرفعه عن أن تشير إليه أى إبهام

وديع فلسطين

مارس ١٩٥٥

مقدمة

زرتُ السودان غير مرة ، بل جعلتُ زيارته فرضاً علىّ أوّديه كل عام ما لم تحل دون ذلك عوائق من عملٍ أو من علة . ولولا أن صحى لم تعد تحتمل مشاقّ السفر الطويل لكنت أركض إلى السودان لأجتمع بأخوة أعزاء أنستُ بصحبتهم وسعدتُ بودادهم ، وأتابع عن كشب ما يخطوه هذا القطر الشقيق من خطى حثيثة وطيدة ثابتة في سبيل نفص آثار الاستعمار وحمل التبعة الوطنية كاملة والنهوض بأحواله الاقتصادية والاجتماعية والعلمية ومتابعة ركب الحضارة المطّرد السير .

وقد راقنى أن أستعيد ذكرياتي العزيزة عن السودان كلما خلوت إلى نفسي ، وأن أقلب صفحات الماضي لأعيش بين ظهرائه وأنسّم عطره . وخطر لي ، وأنا أرى مواكب الرؤى تمرّ أمامي ، أن أدوّن ذكرياتي عن رحلتي إلى هذا القطر الشقيق بل التوأم الحميم بين يومي ٢ يناير ١٩٤٥ و ٤ مارس ١٩٤٥ ، فجاء هذا الكتاب سجلاً لتلك الرحلة التي نعمت فيها بمصاحبة الصديق الوفيّ والخلّ الكريم والأخ الأعزّ المرحوم المبرور شاعر الاقطار العربية الأستاذ خليل مطران .

وإني لأرجو أن يكون هذا الكتاب لبننةً في صرح العلاقات الطيبة الوثيقة النامية بين شقي الوادي ، وأن يكون صدوره مقترناً بمظاهر الرخاء واليُمن والاستقرار في جنوب النيل وشماله .

يوسف نحاس

الفصل الأول

الرحلة الى السودان

عولت مع صديق المرحوم الأستاذ خليل مطران على زيارة السودان في مطلع عام ١٩٤٥ جرياً على مألوف عادتي ، وطلباً للراحة والاستجمام . ولم أكن قد أعددت لهذه الرحلة برنامجاً ، ولا توخيت من ورائها قصداً ، اللهم إلا أن أزور مع زوجتي وصديقي الشاعر قطراً شقيقاً ترددت عليه قبلاً وارتبطت بأهله ورجاله وزعمائه بعلاقات وثيقة لا أزال أعتز بها وأحرص عليها .

غادرنا القاهرة بالقطار في مساء يوم الثلاثاء ٢ يناير سنة ١٩٤٥ ووصلنا إلى الخرطوم ظهر يوم السبت ٦ يناير ، فاستقبلنا على المحطة جمعٌ غفير ، ووجدنا أنفسنا منذ وصولنا العاصمة المثقلة بموضوع إكرامٍ وحفاوة من السودانيين جميعاً ، فازدحمت أيامنا بالحفلات والزيارات والرحلات ، وتكاثرت علينا الدعوات وأقيمت لنا حفلات التكريم واشترك أهل السودان جميعاً في إظهار مشاعرهم الكريمة نحو أشخاصنا لأننا كنا نمثل مصر في رحلة غير رسمية .

وقد اشترك في تكريمنا جناب حاكم السودان العام الميجر جنرال السر هيوبرت هدلسن (باشا) والليدي قرينته وسيادة على الميرغني (باشا) وسيادة عبد الرحمن المهدي (باشا) والمرحوم صبري الكردي مفتش الري المصري والمستر والر بتفتيش الري المصري والأدميرالاي شعبان يوسف رئيس هيئة أركان حرب الجيش المصري حينذاك والقائمقام أحمد محمود قاسم الذي كان قائداً لكتيبة البنادق الخامسة المشاة ونادي الخريجين في الخرطوم والادي السورى في الخرطوم ونادي الخريجين في أم درمان ونادي وادي حلفا وملجأ القرش عدا عشرات من الدعوات الشخصية التي كنا نتلقاها فلا يسعنا إلا أن نتقبلها شاكرين حامدين .

وأذكر في هذا الصدد أنه حين تناولت الشاي بدعوة من الحبيب النسيب السيد على الميرغني ، أراد أن يستطلع رأيي في حالتنا الاقتصادية والسياسية فاعتذرت من عدم الإفاضة في الشؤون السياسية التي عاهدت نفسي على ألاّ أشتغل بها ، ولكنني أفضت في شرح الحالة الاجتماعية والمالية . وكان سيادته يصغي إليّ بكل انتباه ولا ينبس ببنت شفة ، فلما انتهيت من شرحي ، وكنتُ صريحاً في إظهار ما تعانيه البلاد من مشكلات في هاتين الناحيتين ، قال لي : إذن يا سيدي لا بدّ لكم من ثورة . فكأنما كان سيادته يقرأ كتاب الغيب ، فتحققت نبوءته بعد مضي سبع سنوات .

ولقد استرعى انتباهي مظهر البساطة في سراي السيد الميرغني ، على نقيض ما شهدته من البذخ والفخامة في غيرها من القصور المنيفة .

وتعددت زياراتي للسيد عبد الرحمن المهدي ، وكنا نجول جولات واسعة في شتى الشؤون ، ومنها الشؤون الأدبية التي كان يميل إلى الحديث فيها . وأذكر على سبيل الفكاهة أن صديقي الأستاذ إميل زيدان ، الذي كان في زيارةٍ للخرطوم ، سألتني ذات مرّة عن مطلع قصيدة المتنبي :

من الجأذر في زىّ الأعراب حمر الحلى والمطايا والجلابيب

وقال : أيسهل البيت « بن » بالفتح أو « من » بالكسر ؟ وكان قد اختلف في ذلك مع أحد جلساء المهدي . وكان ديوان المتنبي معي ، وهو لا يفارقني في تنقلاتي لإعجابي الشديد به ، فدفعت إليه بالديوان ليقنع مناظره بأنه كان على حقّ حين أكد له أن « من » استفهامية لا حرف جرّ .

ومما يجدر ذكره بهذه المناسبة أن جلساءنا في الندوات السودانية كانوا يميلون كثيراً إلى الموضوعات الأدبية . وقد أعجبنى تعطشهم إلى الشؤون الاقتصادية ، وكانوا فيها كالظمآن الذي يسعى إلى موارد المياه العذبة . ومن الأدلة على ذلك أن الصحفيين لم ينقطعوا عن التردد عليّ ومطاردتي في الندوات التي أغشاها ملحنين في طلب الأحاديث والبيانات المتصلة بالمال والاقتصاد ، مستطلعين رأيي في كل فرعٍ منها ،

وكنـت أجيبهم طبعاً بجـذرٍ قضى علىّ به ما قد يمـسّ الادارة في السودان أو يعتبر نقداً لتصرفاتها . وقد أثبت في فصلٍ تالٍ بعض تلك الأحاديث وما أوحته من تعليقات صحفية ، زيادةً في الفائدة .

ولمّا كان الشئ بالشئ يذكر ، فقد تسلّمت الكتاب الآتى نصه من السكرتير العام لمؤتمر الخريجين :

أم درمان في ٢٠ يناير ١٩٤٥

(حضرة صاحب الغزة) يوسف (بك) النحاس

تحية طيبة وبعد :

أشرف بأن أخبركم بأن بعض أعضاء لجنة المؤتمر التنفيذية المختصين بالشؤون الاقتصادية يودّون الاتصال (بعزتكم) للتحديث اليكم والاستئارة برأيكم في بعض المسائل التي تهـمهم . وهذا لما نعهده فيكم من الخبرة والدراية وعلو الكعب في هذا المضمار . فنرجو من (عزتكم) أن تفيـدونا بالموعد الذي يناسبكم لهذه الزيارة . وتفضلوا بقبول فائق احترامنا .

المخلص

السكرتير العام (امضاء)

فحددت موعداً في الساعة الخامسة من بعد ظهر يوم الاثنين ٢٢ يناير في فندق جراند أوتيل الذي كنت أنزل فيه .

وفي الموعد المعين زارني وفد من أعضاء لجنة الشؤون الاقتصادية للمؤتمر وهم السادة الأستاذ محمد نور الدين والأستاذ عثمان خاطر والأستاذ مبارك زروق والأستاذ عثمان شندى والأستاذ حسن أبو جبل والأستاذ حسن عوض الله . وطرحوا علىّ الأسئلة التالية :

- ١ - مشروع الجزيرة . ٢ - الدعوة لتكوين شركات مساهمة . ٣ - إقامة معارض للصناعات المحلية . ٤ - مشروع بنك السودان .

فعن المسألة الأولى طلبت منهم تقريراً عن نظام الجزيرة الحالى وما يقترحون حتى أستطيع دراسة الموضوع وإبداء رأى .

وعن المسألة الثانية ، وهى الدعوة إلى إنشاء شركات مساهمة ، قلت لهم إنه مشروع مفيد جداً ، ويجب الاجتهاد فى إنشاء شركات بحسب ما تسمح به ظروف السودان المالية وقوانينه . . الخ .

أما المعارض فهى عظيمة الفائدة . وأما عن البنك الحلى ، فهذه أمنية جليلة ، إنما ينبغى التدرج بها حتى لا يتعرض المشروع للإخفاق فيكون ذلك ذا ضرر كبير .

وقبل انصراف الوفد سلمت الأستاذ محمد نور الدين تبرعاً متواضعاً لمشروع ملجأ القرش الذى كان يرعاه قدره خمسون جنيهاً مصرياً ، وسرّنى أن أسمع من بعض أعضاء اللجنة ثناءً مستطاباً على كتابى « الفلاح » ومقدمة المغفور له عبد العزيز فهمى (باشا) له .

وكذلك أرسلت إلى ملجأ « ستاك » للعجزة شيكاً بمبلغ خمسين جنيهاً تبرعاً له ، فوصلنى من السيدة الكريمة الليدى هدلستن قرينة الحاكم العام خطاباً كتبته باللغة الفرنسية التى تجيدها ، أترجمه فى ما يلى :

« لا أدرى كيف أوفىكم حقكم من الشكر على تبرعكم السخى مساهمةً فى أعمال الخير التى أتولاهها .

« فإن الشيك الذى تفضلتم بموافاقى به أثناء زيارتكم الأخيرة لى سيؤول إلى ملجأ الفقراء فى الخرطوم الذى لم يسبق له أن تلقى هبات . ولقد استطعنا أن ندخل فيه ماء الشرب ، وأن نحسن تجهيز حجرة طهى الطعام وأن نصلح أسرة النوم وأن نسوى الأرض بالأسمت ، كل هذا هياً أحوالاً طيبة للترفيه عن العجزة المحرومين كل شئ الذين يضمهم هذا الملجأ .

« تشكراتى الحارة على مكرماتكم الطيبة ، وكونوا واثقين يا سيدى العزيز من أننى أكن لكم عاطفة عرفان بالجميل . »

تقرير عن الأحوال الاقتصادية في السودان

ولمّا عدت إلى القاهرة من رحلتى إلى السودان ، أعددتُ تقريراً عن الأحوال الاقتصادية في السودان قدمته إلى الجمعية الزراعية لدراسته ، وكذلك إلى الدوائر المعنية بشؤون الاقتصاد في مصر والسودان .

وهذا نصّ التقرير ، وقد قدم بتاريخ ١٨ مارس ١٩٤٥ :

« لم أبغ من رحلتى إلى السودان في هذا العام ، التى استغرقت زهاء شهرين ، سوى الاستجمام والافادة من جوه شتاء كعادتى فى السنوات السابقة . إلا أن مصاحبة صديقى خليل مطران (بك) لى فى هذه الرحلة قد جعلت من المستحيل أن أتجنب مقابلة اخواننا السودانيين الكرام الذين احتفلوا بالشاعر العربى الكبير احتفالاً منقطع النظير كنت من شهوده ، فأتيح لى التحدث إلى فريق عظيم من الصحافيين ورؤساء الأندية ورجال الأعمال وأولى الراى فتبينت فيما تبينت : —

أولاً — أن السودانيين يحبون مصر حب الأشفاء الأوفياء ، ويودون من قلوبهم أن تزداد وشائج الود بيننا وبينهم توثقاً . وقد أبدوا فى أكثر من مناسبة أسفهم من أن المصريين لا يزورون القطر الشقيق إلا نادراً ، ولا يسعون إلى تقوية العلاقات الثقافية والروابط الاقتصادية بين القطرين . وقد تجلّى هذا الأسف فى متعدد الخطب والقوائد التى سمعناها فى كل حفلة من الحفلات التى أقامها نادى خريجى الخرطوم ونادى خريجى أم درمان والنادى السورى ونادى النهضة النوبية ونادى عمال الخرطوم ونادى عمال أم درمان وملجأ القرش والنادى المصرى ومدرسة (فاروق الأول) ومدرسة الأقباط ونادى حلفا بمدينتها ... الخ ، وكلها ملأى بالعواطف الكريمة والاشادة بمصر .

ثانياً — أن المستوى الثقافى قد ارتقى رقيّاً يدعو إلى الإعجاب ، كما أن تعطش السودانيين إلى التعلم بلغ مدى يبشر بكل خير . فالمدارس مكتظة بالطلبة إلى أقصى ما تتسع له . وقد علمت من حضرة المربى المفضل الأستاذ محمد عبد الهادى

مدير مدرسة (فاروق الأول) الثانوية الذي سافر إلى الملاكال ثم عاد إلى الخرطوم أثناء إقامتنا هناك ليقترح مدرسة ابتدائية معدة لقبول نحو ٦٠ تلميذاً ، أنه تقدم إليه أكثر من ضعف هذا الرقم من الأولاد الراغبين في الالتحاق بها .

أما العمارة الفخمة التي تشاد الآن في الخرطوم لتكبير مدرسة (فاروق الأول) الثانوية فقد ينتهي إعدادها في مدى شهر قلائل . وإن الذي شاهدناه من بواكير التعليم في العام الدراسي الأول بها قد شرح صدورنا . ولا نبالغ قط إذا قلنا إن التلاميذ أبدوا من علامات النجاح ما يعادل ، إن لم يفق ، النجاح في مدارسنا الثانوية بمصر ، فاستبشرنا وتوسمنا الخير للثقافة المصرية في السودان يوم يتم هذا المبنى الجديد ويؤمه العدد الكبير الذي يتسع له من التلاميذ . كذلك وجدنا مدرسة الأقباط سائرة على سنن التقدم والرقى سواء في تعليم البنين أو البنات ، فإن هذا المعهد جدير في نظرنا بأن ينال من حكومتنا تشجيعاً كبيراً واعانة أسخى تسد العجز في موارده ليستمر في تأدية رسالته العظيمة على الوجه الأكمل . فإلى ذلك يحسن توجيه التفات وزارة معارفنا (ومعالى) وزيرها المفضل .

ثالثاً — أن النهضة الفكرية في السودان قد تناولت أيضاً بشكل بارز الطموح إلى ترقية البلاد اقتصادياً . فإخواننا السودانيون ، وفي مقدمتهم خريجو المدارس ، تواقون إلى تعرف الوسائل المؤدية إلى توطيد الصناعات في ربوعهم ، وتأسيس المنشآت التي ترقى بها التجارة والصناعة .

فما أن علموا بمقدمي ، حتى شرفوني بزياراتهم المتعددة ، طالبين إلى أن أرشدهم إلى ما يحسن عمله في هذا الصدد . ومن الأسئلة الكثيرة التي وجهت إلى أذكر التالية : —

(أ) ما رأيكم في مشروع الجزيرة ، وما هي الطريقة المثلى لانتفاع السودانيون به

عندما تستولى حكومة السودان على أراضي الجزيرة في عام ١٩٥٠ .

(ب) كيف تكون الدعوة المجدية لتكوين شركات مساهمة في السودان .

(ج) هل آن الوقت لتأسيس بنك السودان .

(د) ما رأيكم في إنشاء الصناعات وإقامة المعارض للمنتجات المحلية . . . الخ .
وقد ألقى الصحفيون أيضاً في استطلاع رأي في توسيع نطاق الزراعة ، وفيما إذا كانت
مصلحة السودان تتعارض مع مصلحة مصر الزراعية ، وما هو مقدار الاستعداد في مصر
لاستثمار الأراضى السودانية الآن ، وما الذى حال دون استجابة المصريين لدعوة
البعثة المصرية في الماضى لهذه الغاية ، وهل تعديل اتفاقية مياه النيل بما يوفر للسودان
قسماً أكبر من تلك المياه يتعارض مع مصلحة مصر ، وما هى أنجع الوسائل لتنمية
العلاقات الاقتصادية بين القطرين الشقيقين ، وكيف ترون مستقبل السودان الاقتصادي . . .
الخ . وقد أجبت على أسئلة الصحفيين في حديثين نشر أحدهما في جريدة النيل بتاريخ
٢٥ يناير سنة ١٩٤٥ والآخر في مجلة « فوروى » بتاريخ ٢١ فبراير سنة ١٩٤٥
« ألقى صورة منهما بهذا التقرير » . ثم انى طلبت الى الخريجين أن يرسلوا إلى بيانات
أوفى عن المسائل التى يودون أن أدلى فيها برأى حتى تتسنى دراستها بدقة .

رابعاً — أن ذوى الرأى في السودان يودون من صميم قلوبهم أن تمد لهم مصر
يدها للنهوض بالصناعة والزراعة ، وذلك بأن تشترك معهم بالفكر والمال لتأسيس
شركات تستغل المرافق الزراعية والصناعية .

خامساً — أبدى إخواننا أسفهم الشديد لعدم ممارسة الخبير الاقتصادى مهمته
منذ اتفق على وجوده في السودان . فهو ما أن يعين ويذهب إلى الخرطوم حتى يعود
إلى مصر ، ثم يعين سواه ، فما يلبث أن يحذو حذو الأول . والمنصب الآن شاغر لم يشغله
الخبير الذى عين منذ أمد طويل ، ولم يفكر في تسلم المهام الموكولة إليه . فهذه حالة
لا يسع كل مصرى غيور على الاحتفاظ بعلاقاتنا بالسودان إلا أن يشترك مع
السودانيين في التبرم بها ، والإيهابة بالحكومة المصرية أن تعالجها بعلاج فعال يحتمه
ما يطمح إليه كل مصرى من جعل القطرين الشقيقين قطراً اقتصادياً واحداً . فإذا
ما نذب للمنصب رجل قدير مشبعة نفسه بهذه الأمانة مستعد للتضحية بشئ من
رفاهيته بأن يقيم في السودان إقامة مستمرة (وليست وسائل الرفاهية غير متوافرة
في الخرطوم ، اللهم إلا من جهة الحالة الجوية التى يتحملها نفس الانكليزى بلا مضمض)

إذا ندب ذلك الرجل، فإننا نتوقع كل الخير والفائدة للبلدين من عمله . وفي صدد انتخاب الموظفين للسودان أقول إن بعضاً من المصريين والسودانيين المحبين لمصر حباً شديداً أبدوا لى عامنا هذا وفي العام الماضى أيضاً أمنية ألحوا علىّ بنقلها إلى ذوى الشأن ، وهي أن يدقق كل التدقيق فى اختيار الأشخاص الذين يرسلون ليشغلوا وظائف إدارية أو عسكرية فى القطر الشقيق ، بحيث يكونون قدوة حسنة وإعلاناً طيباً لمصر . وقد بلغت الرسالة فى العام الماضى .

أقول ذلك مع اعترافى بأن جل الموظفين المصريين فى السودان يتخلقون بأخلاق حميدة ونشاط ملحوظ ، فضلاً عما يبدونه من وطنية صادقة وتلهف لكسب مودة إخوانهم السودانين ، وعما يتبرعون به لهم من جهد صادق لإزالة الخلافات البسيطة التى لا مندوحة من وقوعها أحياناً . ويجب أن أخص بالذكر من حضراتهم فضيلة الشيخ حسن مأمون قاضى قضاة السودان (وحضرة صاحب العزة) رئيس أركان حزب القوات المصرية بالسودان الأмирالاي شعبان (بك) يوسف (وحضرة صاحب العزة) صبرى الكردى (بك) المفتش العام لرى السودان (وحضرة) الياور المصرى لدى الحاكم العام بالخرطوم وحضرة الأستاذ محمد عبد الهادى مدير مدرسة (فاروق الأول) الثانوية ، فهم وغيرهم ممن لم أورد أسمائهم هنا يؤدون رسالة مصر فى السودان على أجمل ما يكون الأداء .

سادساً — ان حالة الزراع فى السودان بعيدة الشبه عنها فى مصر ، فإنهم لم ينالوا من ارتفاع أسعار المحصولات الزراعية شيئاً يذكر بسبب الأسعار الرسمية التى حددت لها ، فى حين انه قد أصابهم شىء من زيادة تكاليف الانتاج ، وإن كانت تلك الزيادة لا تقارن بما أصاب تكاليفنا الزراعية . وإنما هدفت الحكومة من جعل الأسعار منخفضة إلى أن لا تغمر السودان موجة غلاء المعيشة التى منيت بها مصر . وقد نجحوا هناك فى مدافعة الغلاء ، كذلك نجحوا نجاحاً يضرب به المثل فى تنظيم التموين تنظيمًا محكمًا مريحًا يتساوى فيه الرفيع والوضع . كما ان الحكومة هناك قضت منذ البدء على

السوق السوداء ، وحددت أرباح التجار في مختلف السلع تحديداً معقولاً ، لا يفكر أحد منهم سوداني أو غير سوداني في تجاوز نطاقه خشية أن يؤخذ بالعقاب الصارم السريع الذي ينزل بمن ارتكب أصغر مخالفة . فالحالة من حيث التموين والتجارة جديرة بالإعجاب ، وإن تكن حالة الزراعة غير مشجعة لهم على التوسع والإتقان . ولو أعينوا إعانة ميسورة ، ونالوا قسطاً أكبر من الربح ، لكانت فرصة مواتية لحفزهم . فإن قنطار القطن السكلاريديس يشتري منهم أجود نوع منه بخمسة جنيهات للقنطار ، وعلى هذا قس ثمن سائر المحصولات والمواشي .

الاقتراحات

بعد هذا البيان ، أعرض للذين يهتمون بأمر العلاقات المصرية السودانية الاقتراحات التالية التي أستمدها مما تبينته من رغبات وأمانى ومشاهدات :

أولاً — على رجالنا الرسميين أن يكثروا من زيارة السودان ، وعلى رجال المال والأعمال والهيئات الزراعية والصناعية والتجارية أن تفعل ذلك أيضاً حتى يكون في هذا الزاور مدعاة لحسن التفاهم وتبادل المنافع وتقوية الروابط . وللحكومة رسالة ثقافية هي ماضية في تأديتها ، وإنما نرجو أن تسخو بالاعانات لتشجيعها ، ونرجو كذلك أن تساعد على تشييد المنشآت الاجتماعية . وقد علمت أنها قد اعترمت ببناء مستشفى مصري بالخرطوم وقدرت تكاليفه بنحو ثلاثين ألف جنيه ، إلا أن هذا المشروع لم ينفذ للآن لأسباب أعتقد أنه في استطاعة (معالي) وزير الصحة المهام إزالتها . وهذا المستشفى ضروري للمصريين المقيمين في السودان وللسودانيين أيضاً ، وهو من أجل الأعمال التي تخدم مصر في القطر الشقيق .

ثانياً — على مصر أن تشجع النهضة الصناعية التي تجلت بوادرها لنا . فإن من الصناعات ما له نجاح محقق إذا ما اشترك المصريون في دراسة إمكاناتها وتفصيلها وساهموا

بالمال الكثير المتوفر لديهم لتشييدها . وفي السودان الآن مصانع الزجاج ودبغ الجلود ونسج الدمور وعمل الأزرار ، وهذه الصناعات وغيرها قابلة للتوسع والنماء ، وخصوصاً صناعة الدمور الذى يكتسب به سواد الأهلى منذ كان السودان يعول على اليابان للحصول عليه ويدفع لها قبل الحرب نصف مليون جنيه سنوياً ثمناً له . فإذا ما تزعم بنك مصر بمعاودة البعثة السودانية ووزارة التجارة حركة الدعوة لإنشاء صناعات فى السودان ، كان فى ذلك الخير كل الخير من جميع النواحي للقطرين معاً .

ثالثاً - الزراعة فى السودان مفتقرة إلى المال والأيدى العاملة للارتفاع بالأراضى الجيدة التربة التى لا تزال بأثرة والتى يحسن أن نوجه نظرنا إليها لزراعها واجتناء ثمراتها ما دامت الأحوال قد تبدلت منذ عام ١٩٣٥ بدلاً يقتضينا أن نحث مواطنينا على ما كنا لا نرتئيه حين وضعت مع زميلى فى النقابة الزراعية تقريرنا فى ٢٠ مايو سنة ١٩٣٥ . على اننا قد اختتمنا التقرير بالعبارات التالية .

« أما مسألة تملك المصريين ، بعد أن تكون قد أزيلت جميع العوائق التى أشرنا إليها فى أثناء هذا التقرير ، فهى مسألة نسبية وتقديرية يرجع فيها إلى رأى كل راغب فى التملك . وقد يكون اقتناء أرض متوسطة الجودة أمراً مربحاً إذا أمكن الحصول عليها بثمن ملائم ، وأمكن استغلالها باطمئنان ، واستطاع صاحبها أن يكثر لها الأيدى العاملة ، وهى من كبريات المصاعب فى السودان ، كما أشرنا آنفاً . وجملة القول اننا ننصح للذين يخطر لهم هذا التملك ، خصوصاً إذا أخرجت إلى حيز الوجود فكرة إنشاء شركة مصرية سودانية لهذا الغرض ، أن يكون ما تبدأ به دراسة جميع العوامل الاقتصادية والزراعية فى المنطقة المراد شرائها . . . فإذا تملك الشركة بعد المباحث الوافية ، فهى ستفيد المصريين أفراداً بخبرتها المكتسبة من ممارسة العمل ، وسيتسنى لها أن ترشدهم إرشاداً حكيماً مأمون العاقبة بقدر ميسور » .

والآن ، وقد تلاشت ، ان لم تكن قد زالت بتاتاً ، العوائق التى بينها فى تقريرنا الآنف الذكر ، فإننى أرجو مخلصاً أن تتحقق فى القريب الفكرة التى قامت لدى صديقى المفضل (حضرة صاحب السعادة) فؤاد أباطه (باشا) وبعض الزملاء المحترمين بأن

تؤسس شركة زراعية إلى جانب الشركة التجارية التي أنشأناها ونالت قسطاً مشجعاً من النجاح . وما تزال أسعار الأراضى فى السودان زهيدة جداً ، فهى تدعو إلى اغتنام الفرصة . وهناك المناطق الواقعة بحرى الخرطوم ، وهى أراض تصلح للاستغلال الزراعى المربح لخصبها وقربها من النيل .

ولى وطيد الأمل أن تنظر الحكومتان المصرية والسودانية إلى هذا المشروع بعين العطف والتشجيع ، وأن تمده بما تيسر من المساعدات ، فيخف بذلك الضغط المثنى من تكاثر السكان فى مصر تكاثراً يوجس الباحثون منه خيفة ، وتزداد روابط القطرين ، ناهيك بما كشفت عنه ظروف الحرب الحاضرة من أن العالم أصبح فى حاجة ماسة إلى أن تستغل الأراضى الصالحة فى كل الأنحاء والأقطار استغلالاً يبق كل بلد شر المفاجآت التى فاجأتنا بها هذه الحرب من نقص فى الانتاج الزراعى .

وربما كان من المفيد أيضاً أن يتجه التفكير إلى إنشاء الغابات فى السودان انتفاعاً بما تجود به من الأخشاب العظيمة القيمة . وقد أظهرت الحرب أيضاً مسيس الحاجة إليها ، فضلاً عما تحمته هذه الغابات من تلطيف الجو ومنع الرياح الموسمية الشديدة .

رابعاً — مسألة مياه النيل : كل مسعى للتوسع فى الزراعة السودانية يبدو عقيماً إن لم تسارع مصر إلى الانتفاع بمياه النيل التى تذهب ضياعاً فى البحر الأبيض المتوسط ، فتحجزها ليستفيد منها القطران الشقيقان . ولقد طال المطال على الدراسات والبحوث ، والشأن أخطر وأهم من أن نستمر فى خطة التلكؤ والتريث . وهناك من المشروعات المدروسة دراسة وافية ما يسمح بأن نبت فيه بلا إهمال ولا تواكل . وإلى ذلك نرجو أن تتوجه النيات الصادقة والعزائم الماضية . نسأل الله التوفيق فى خدمة السودان العزيز الذى هو قطعة من جسم مصر .

ومن نافلة القول أن أذكر أن جميع الاقتراحات التى تضمّنها هذا التقرير اصطدمت بما عطل تنفيذها .

واليوم ، وقد تولى شؤون السودان أبناءه البررة ، أرجو مخلصاً أن ينعموا النظر في ما تضمنه هذا التقرير ، وأن يسيروا قدماً في تنفيذ ما يروونه مفيداً ، ويقوّموا ما يحتاج منه إلى تقويم ، فلا تلقى هذه الاقتراحات في زاوية النسيان كما كان مصير هذا التقرير وما سبقه من تقارير مماثلة .

ومما أثلج صدرى أن الصحف المصرية والسودانية غنيت يومئذٍ بهذا التقرير ونشرته وعقبت عليه ، ومنها جريدة الأهرام وجريدة المصرى والجريدة التجارية ومجلة الصباح ومجلة كرفان ومجلة فورواى وغيرها .

كما تلقيت بتاريخ ٥ ابريل ١٩٤٥ خطاباً من صديقى العزيز الياور المصرى لدى الحاكم العام بالخرطوم يقول فيه :

« سيدى العزيز الدكتور يوسف (بك) نحاس

« أتشرف بأن أقدم (لسعادتكم) أزكى سلامى وتحياتى القلبية ، وأتنى لكم وللعائلة الكريمة كامل الصحة والسعادة والهناء .

« لقد كان سرورى عظيماً عند ما تسامت خطابكم الكريم ، كما وأن تقرير (سعادتكم) وصلنى ، فأشكركم جزيل الشكر . ولقد قرأت هذا التقرير فأعجبت به حقاً ، وفيه الكثير مما يحول بخاطرى ، وقد حوى كل ما له أهمية حيوية لهذا القطر ، وبه من الإرشادات ما لو اتبع لعاد بالخير العميم على القطرين . وإنى أسأل الله تعالى أن يكثر من أمثال (سعادتكم) الذين يسعون لخير البلد ويضحون براحتهم لسعادة الآخرين . وسأعرض هذا التقرير على كل من يهمهم الأمر . وإنى أذكر بسرور وفخر تلك الآثار والذكرى العظيمة والأعمال الجليلة التى تركتها (سعادتكم) فى هذا القطر ، والتى لمسها الكبير والصغير على السواء . والكل يذكركم بثناء مستطاب . وإنى أعد نفسي سعيداً بتلك الفرصة السعيدة التى أتحت لى لمعرفتكم . وأسأل الله أن يوفقكم دائماً لما فيه الخير والصالح العام .

« تحياتى وسلامى واحترامى للسيدة الجليلة حرم (سعادتكم) وأشكرها كثيراً

على ما لقيته منها من مكارم وعطف . واحترامى وسلامى إلى (سعادة) استاذنا
العظيم خليل (بك) مطران الذى أسر القلوب جميعاً .

كذلك تلقيت من الاستاذ محمد نور الدين وكيل البنك الأهلى المصرى
بأم درمان يومئذ كتاباً هذا نصه :

أم درمان فى ٣٠ ابريل ١٩٤٥

(حضرة صاحب العزة) يوسف نحاس (بك)

« سلاماً واحتراماً وبعد . سعدت بوصول خطاب (عزتكم) المؤرخ ٢٢ مارس
الماضى ، وكذلك بوصول صورة من تقريركم الجامع الوافى ، وآسف كثيراً أن حالت
الظروف والمشاكل الكثيرة دون الكتابة اليكم قبل اليوم .

« سرّنا كثيراً أن نعلم من جوابكم موضوع الشركة الزراعية المصرية السودانية التى
تعتمدون لإنشاءها أنتم وزملائكم الميامين ، فوالله إنها لفاتحة عهد جديد فى توثيق العلاقات
وربط الشائج بين شقى الوادى الحبيب . حقق الله الآمال ، وكل أعمالكم بالنجاح ،
حتى تبرزوا هذا المشروع إلى حيز الوجود .

« وسنقوم فى الوقت المناسب بنشر ما قد يكون لازماً فى الصحف المحلية هنا عن هذا
المشروع حتى نعدّ المواطنين للاكتتاب بنصيبهم من رأس مال الشركة .

« أرجو أن تتفضلوا أنتم (وسعادة) مطران (بك) وحضرة السيدة الجليلة حرمكم
وجميع الأهل بقبول وافر التحية وفائق الاحترام » .

و بتاريخ ٢٧ ابريل ١٩٤٥ تلقيت الكتاب التالى من الأستاذ أحمد عثمان القاضى
من كبار أعيان الخرطوم :

(حضرة صاحب العزة) المحترم يوسف (بك) نحاس .

أزكى التحيات ، وخالص الأشواق (لعزتكم) ، وجمّة الاحترام للسيدة النبيلة
حرمكم ، وبعد .

فإن خطابكم الكريم قد تسلمته في اليوم العاشر من هذا الشهر عقب عودتي من رحلة في الشمال ابتدأت يوم ٢٠ مارس وانتهت في اليوم التاسع من إبريل ، فكان أن تسلمت رسالتكم مؤخراً . وإني بعد استعلامات رسمية وغير رسمية ، وبالنظر إلى المعلومات السابقة لدى أخبركم بالآتي :

١ - ان نظرتكم في زراعة الشمال نظرة صائبة ، وجميع العناصر المشبطة التي ذكرتموها حقيقية . وأزيد عليها أن الأراضى الحكومية أضيق من أن تتسع لمشروعات كبيرة ، وما كان منها من هذا النوع فهو مشغول بالمشاريع الحكومية القائمة الآن في أهم المناطق المتسعة .

٢ - المنطقة الجنوبية على النيل الأبيض : لقد رأيتها في رحلتي الصغيرة التي قمت بها أثناء وجودكم بالخرطوم ، فهي إلى كوستى من الشرق ومن الغرب مشغولة بمشاريع الحكومة والأهلين . ومن بين أصحاب المشاريع السيد مصطفى أبو العلا الموجود الآن بالقاهرة ، وقد حضرت مؤتمراً عقد في الدويم كان مصطفى أحد أعضائه ، وكان هذا المؤتمر - الذي رأسه المدير وحضر جلساته كل المزارعين - معقوداً لوضع تشريع للعاملة بين المزارعين وأصحاب المشاريع . وأظن أن الأفضل أن تتصلوا بالسيد مصطفى وهو يعطيكم حقائق فيما يختص بحالة العمال . ولكني أعلم ان هناك أزمة في الأيدي العاملة . أما جنوب كوستى ، فقد يوجد فيه عدد كبير من الناس ، ولكن أن يصلحوا للقيام بعمل زراعى مجد هذا ما أشك فيه كثيراً ، لأن أصحاب الماشية في السودان لا يمارسون سوى زراعة الأقطار وبقدر ما تمس إليه حاجة معيشتهم . وعندى ، كما قلت في سنة ١٩٣٤ أن أى مشروع زراعى مصرى يقوم هنا يجب أن تتوفر فيه الأيدي العاملة من مصر نفسها .

٣ - ان مسألة السماح الحكومى للتملك غير موجودة هنا ، والموجود هنا هو الاستئجار . ولكن لا بد من إتيان المحاولة ولو لم تثمر إلا العمار ، فذلك لا بأس منه ، لأن الغرض هو استغلال رأس مال أولاً ، ثم تدريب الأهلين في السودان على الزراعة الحديثة . وهذا كله يتوفر بمجرد وجود المشروع . أرجو أن توفقوا فيما تعملون له من خير لوادى النيل .

وقبيل مغادرتي الخرطوم مع زميلي الأستاذ خليل مطران عائدتين إلى مصر ،
وجهنا إلى الشعب السوداني كلمة شكر حملتها جريدة « النيل » في عددها الصادر
في ١٩ فبراير ١٩٤٥ قلنا فيها :

« أى شكر لو أردنا قضاء حقه يفى بما لقيناه منذ حلولنا في الخرطوم ، من
مكارم الأخلاق والرعايات والعنايات التي بذلها لنا الزعماء الكرام وأرباب المناصب
الرسمية والحررة وصفوة الأعيان وحملة الأقلام من أدباء وشعراء وصحفيين ورؤساء
الأندية وأعضائها ومديرى المعاهد الثقافية والملاجئ الخيرية والمؤسسات سواء أكانوا
من أبناء الأمة السودانية العزيزة أم من الجاليات العربية فيها .

لقد أعجزتنا تلك الآلاء عن أداء ما تفرضه علينا لكل فرد وكل جماعة . وعلى
قدر ما أطلنا إقامتنا في هذه الحاضرة الجميلة ، بقينا عاجزين عن إبداء ما يحق لكل فرد
ولكل جماعة من الحمد على ما ملأوا به قلوبنا من الفخر والسرور . فليشبههم الله كل
خير ، وليزدهم يمنًا في عيشهم وأمنًا في حياتهم وتحقيقًا للأمانى الشريفة الكبرى
في وطنهم .

وبهذه الكلمة نستأذنهم في السفر ، ونلتمس العذر لدى كل من قصرنا في لقائه
شخصيًا مودعين وشاكرين . »

والواقع أن ما غمرنا به السودانيون من آيات الودّ والكرم والتقدير والحب
ألجم ألسنتنا ، وأعجزنا عن أن نقيهم حقهم من الشكران والعرفان بالجميل . ومن سوء
الحظ أن شاعرنا الجهير خليل مطران كان يعاني داءً مبرحاً أكرهه على أن يرجى
تحيته الشعرية لأهل السودان إلى حين عودته إلى مصر . فلما آب إلى الوطن نظم
قصيدة عصماء جادت بها قريحته بعد عصيان أهداها إلى أولئك الإخوان الأعزاء
لأوفياء .

وأدرج في ما يلي نصّ هذه اللامية الفريدة :

سألتُ نجمي شَيْئاً يُقال
مخدّرة أبت لا عن دلالٍ
ولكن مسّها ضرٌّ عراني
إذا ما الداءُ أقعد جسم حيٍّ
عليّ لصفوةٍ نُجِبَ حقوقُ
لقوني زائراً ولقوا صديقي
وأولونا القلائد في حلاها
فما أنا في الوفاء وما رفيقي
قضى ما أسطاع يوسف عن أخيه
له بمودة السودان عهدٌ
تيممنا مرابعهم فماذا
بلاد تصطبى الأحلام فيها
لمجري نيلها ولضفتيه
وللبيد السحيقة والرواسي
وليس كأيكها أيكٌ يغنى
فإن يك شعبها كرمًا وبأسًا
شمائل حلوة طابت وروداً
وإقدامٌ على الجُلّى وعزم
بني السودان حيا الله قومًا
لقد عبرت بكم محنٌ كبارٌ
وأعقبها تراك لم تذلوها
فأما في الغداة وقد نهضتم
شباب أذكىء تلوح فيهم
وأشياخٌ ميامين حصاف

فلم تأبه ولم يُجب السؤال
ولو فعلت لحق لها الدلال
ففيها من تباريحى كلال
أتنشط روحه وبها عقل؟
أنوء بها وأعباءٌ ثقال
بأنسٍ فاق ما كنا نخال
تنافس الارتجال والاحتفال
إذا ما أعجز الشكر النوال
ونعم العون يوسف والتمال
وثيق لا ترث له حبال
جلا فيها لنا السحر الحلال
حقيقتها، ويسببها الخيال
جمالٌ لا يباهيه جمال
جلالٌ لا يضاويه جلال
ولا كدحها زارت دحال
يمثلها فقد راع المثل
على مرّ الزمان وما تزال
له إن مسّه الضيم اشتعال
بهم هذي الفضائل والخصال
بها أبطالكم جالوا وصالوا
لحكم الدهر فيه ولم تذالوا
فما من عثرةٍ إلا تُقال
لكل عزيمة ترجى خلال
تزكى ما يقولون الفعال

فهيّا في نواحي المجد هيّا
أعدّوا للحمى الغالي حُماة
بني السودان حاجة كل قوم
فإن قُرنّت شجاعتهم بقصدٍ
وكل محاولٍ إدراكٍ حقٍ
وهل حقٌ إليه الشعب يسعى
لكم في مصر إخوانٌ ثقاتٌ
وبينكم وبينهم قديماً
فما عن أمركم بهم اشتغال
وليس لمصر والسودان إلاّ
وهذا النيل نيلهما جميعاً
أما الوادي ومجراه جنوب
هما داران في وطنٍ عزيزٍ
ولا يعدم سوابقكم مجال
إذا قال الحمى أين الرجال
ليعلو شأنهم علمٌ ومال
وتتقيف فقد ضُمن المآل
سيدركه وإن طال المطال
بإيمان وصبرٍ لا ينال؟
هواهم لا تغيّر منه حال
وشأج لن يلمّ بها انحلال
وما عن أمرهم بكم اشتغال
وريدٌ كيف بينهما يُحال؟
كفى سبباً ليخلد الاتصال
هو الوادي ومجراه شمال؟
وفي الدارين إخوان وآل.

الفصل الثاني

جولة في الاقتصاد السوداني

رويت في الفصل السابق كيف أن السودانيين كانوا متعطشين لكل حديث عن الاقتصاد والمال ، يردون مياهه ويقبلون على المشاركة فيه بوجدانٍ يقظٍ وذهنٍ متفتحٍ ونهمٍ شديدٍ لا يُشكَم . وكانوا يتلمسون النصيحة من كل مصدر ، ولا سيما إذا عرفوا عن مصدرٍ صدق نيته وخلوص قصده ورجاحة عقله .

وقد أظربني كثيراً أن أكون مقصد رجال السودان والمفكرين والمشتغلين بتوجيه الرأي العام والصحافة ، وسرّني أن أستمع بثقتهم التي حفزتهم على طلب رأيي في كثير من شؤون السودان الاقتصادية التي وقفت عليها في أثناء زيارتي المتكررة لهذا القطر الشقيق .

ولم أضن على أحد بحواب ، فتلقف الصحفيون هذه الأحاديث وراحوا ينشرونها في صحفهم ويعلقون عليها في إفاضةٍ وترحيبٍ أثلجا صدرى وملاّنى ثقةً بمستقبل شعبٍ هذا دأبه وديدنه .

وقد رأيت أن أثبت هنا هذه الأحاديث الاقتصادية نقلاً عن صحف السودان ، لأن فيها ، على بعد الشقة ، آراء لا تزال الحاجة تدعو إلى الأخذ بها لخير السودانيين ورفاهيتهم وعمرانهم وتقدمهم . وما قصدتُ من نشر هذه البحوث مجدداً إلا أن أضعها بين أيدي السودانيين ، بعد ما آل أمر الحكم إليهم وألقيت اللجم في يد ابن الوطن البار الاستاذ اسماعيل الازهرى وصحبه المجاهدين ، لعلهم يجدون فيها ما يعينهم في أثناء سيرهم الوئيد لانهاض بلادهم .

تقدم السودان الاقتصادى والثقافى

فكانت مجلة « فورواى » قد وجهت إلى بضعة أسئلة عن شؤون السودان الاقتصادية والثقافية ، فأجبت عليها بمقالٍ نشرته فى عددها الصادر فى ٢١ فبراير ١٩٤٥ وهذا نصّه نقلاً عنها :

« أما مستقبل السودان الاقتصادى ، فإنه ما يريد أبناء السودان أن يكون . فإذا نفّض العامل عنه غبار التواكل الذى يغرى بالكسل ، وإذا عقدت الخناصر على استثمار ما حبت به الطبيعة هذا القطر من كنوز على سطح الأرض وفى جوفها ، ووجهت الجهود (وقد تكون فى أول الأمر جهاداً) توجيهها منظماً سديداً تحت كنف إدارة ساهرة على مرافق البلاد ، فأنى أجزم بأن المستقبل الاقتصادى سيكون عظيماً ، يفيض الخيرات على أضعاف أضعاف من يعيشون الآن على أديم هذا القطر ولا يستغلون إلا القليل من خيرات الوفيرة . إن العمل الأولى والأساسى لبلد يريد أن ينهض اقتصادياً هو الزراعة ، والمجال أمامها هنا لا نهاية له ، فلا يعوزكم إلا العزيمة الصادقة والتشجيع لتحويل هذه السباسب المترامية الأطراف إلى دياحة خضراء هى النصار الوهاج . والماء ميسور توفيره مما يجرى به النيل وما تجود به الأمطار وما قد يستطاع إخراجه باحتقار الآبار ، ناهيك بما ييسر غرسه من غابات تعطى أجود أنواع الخشب الكبير القيمة السهل التصريف فى مختلف الأقطار المجاورة . وللغابات منفعة أخرى ، هى تلطيف الجو واتقاء ضرر الرياح . ومن ينظر إلى ما قدر بعض ذوى الهمة على الوصول إليه فى هذا المضمار أمثال (سعادة) السيد عبد الرحمن المهدي وشركة الجزيرة وأسرّة أبو العلا ، يوقن أن الجهود الزراعى سيكافأ مكافأة وافية إذا أحيط بالعناية وحسن الخدمة . ومن مستلزمات النهضة الزراعية أن تزيد وسائل النقل السريع الرخيص ، فإن حاجة السودان إليه لماسة .

أما مساهمة مصر فى هذا الجهود الذى يحتاج إلى أيدٍ عاملة متمرنة لا يزال السودان ، وسينقى ردها من الزمن ، مقتظراً إليها لقلة عدد سكانه ، فهذه المساهمة

فيها كل الخير والبركة للقطرين الشقيقين . وإنى وإن كنت قد كتبت عام ١٩٣٥ رأياً لا يحبذ هذه المساهمة تحت ضغط ظروف ذلك الزمن ، إلا أنى اليوم أعدّل رأيي ، وأهيب بنى وطنى أن يولوا وجوههم شطر السودان لزراع أراضيه البكر القوية . وقد نبتت أخيراً فكرة فى مصر ترمى إلى تأسيس شركة تهدف إلى هذا الغرض ، ويا حبذا لو نجحت وقام غيرها وغيرها ، وزالت كل عقبة تعترض هذا التعاضد . وفى خدمة الزراعة أقول ان على السودانين أن يجعلوا همهم الأول زرع الحبوب بحيث يكفى إنتاجها حاجة الأهلىن . وقد أصبح من غير الجائز أن يستورد السودان مثلاً عشرين ألف طن من الدقيق كان ثمنها الذى يدفع إلى البلدان الأجنبية قبل الحرب يتراوح بين مئة وستين ومئة وثمانين ألف جنيه كل عام . وبعد ذلك ، أى بعد أن توفر أرض السودان لساكنيها قوتهم الضروى فلا يكونون تحت رحمة الغير للحصول عليه ، يستحسن أن يسعوا إلى استخراج حاجاتهم الأخرى ، فيجربوا زرع القصب ليصنعوا منه السكر الذى كانوا يستوردون منه قبل هذه الحرب حوالى خمسة وثلاثين ألف طن كان ثمنها ست مئة ألف جنيه . ولا أشك فى أن بالسودان أراضى تصلح لزراع القصب ، كما قد تصلح أيضاً لزراع القنب الذى يستعمل فى صنع الأكياس والزكايب ، ففي هذه الناحية مجال فسيح جداً لاتتفاد البلاد ، إذ فضلاً عن ان السودان كان يشتري خيشاً من الخارج قبل الحرب بما قيمته مئة وعشرون ألف جنيه ، فإنه يجد فى مصر سوقاً عظيمة لكل مقدار يتسنى له تصديره من هذه العبوات .

انى قد لمست فى زيارتي هذه للسودان تحمساً كبيراً لتشيد صرح الصناعة فى هذا القطر . وقد نهض رجال من ذوى الحمىة والاقدام لانشاء مصانع للزجاج والغزل وما اليهما ، ولا يسعنى إلا الترحيب بهذه الروح الوثابة ، مع تحفظ أراه ضرورياً وحيطة لا بد منها حتى لا يكون حبوط بعض المشروعات — لا سمح الله — مشبهاً للعزائم .

فإذا كان السودان قطراً يقدر أن ينافس غيره من جهة رخص اليد العاملة ، فإن هذا الركن ليس الوحيد الذى يراعى فى الصناعات ، بل ان أهم أركانها المراس وتوفر

الخامات والآلات والمعدات والحماية لكل صناعة لا تزال في المهد إلى أن تترعرع .
لذلك كانت الطفرة محفوفة بأشد المخاطر ، وخصوصاً في الظروف الراهنة . وفي رأي أن
يوجه التفكير إلى الصناعات الزراعية المتوافرة موادها في البلاد مثل طحن الحبوب
وحاج القطن وتجفيف الفاكهة وصنع الصلصات . والذي أرى إثاره على سواه هو صنع
الدمور الذي يكتسى به سواد الأمة . وكانت اليابان تبيع للسودان منه قبل الحرب
ما تربى قيمته على نصف مليون من الجنيهات سنوياً ، وبعده الدبلان وكان المستورد منه
قبل الحرب يساوى ربع مليون جنيهه . على أن قيمة جميع الأصناف التي أوردتها قد
زادت الآن ثلاثة أضعاف على الأقل ، ناهيك بما يصادفه المرء من العناية للحصول عليها .
وفي موضوع الصناعة لى كلمة ختامية لابد من قولها ، وهى أن الدعاية من
مستلزمات نجاحها ، كما أن الاستعانة بالاختصاصيين الأجانب ضرورة لابد منها لتحقيق
النجاح إلى أن يستطيع السودانيون أنفسهم التخصص فيه وإجادة العمل الفنى .

أما سؤالكم عن رأيي في المستوى الثقافى العام في السودان ، فإنكم هيأتم لى به
فرصة لا بداء إعجابي العظيم بما شهدته من تقدم في هذه الناحية المباركة بين عام ١٩٣٥ ،
وهو الذى زرت فيه السودان للمرة الأولى ، وعامنا هذا . ولم يقل عن هذا إعجابي بما
شهدته من تعطش أهل السودان لتعليم أولادهم . وأني أستبشر أجمل الاستبشار بما أراه
من مناصرة حكومة السودان الرشيدة لهذه النهضة ، وبهذا المعهد الفخم الأنيق الذى
تشيده الآن وزارة المعارف المصرية لتوسيع مدرسة (فاروق الأول) . ويسرني
المصارحة بأن هذه المدرسة ، على حداثة سننها ، قد بلغت فى مدى عام واحد من النجاح
ما جاوز فال المتفائلين . ومتى تمت عمارتها فى وقت قريب ان شاء الله ، وتهيأت لها
أسباب السير الطبيعى الى الكمال ، فإنها ستكون فى مقدمة مدارسنا المصرية الثانوية
نظاماً وتعليماً وحسن انتاج .

وما من شك فى ان حضرة الأستاذ الكبير والإدارى والمربي الحازم
محمد عبد الهادى (بك) ناظر مدرسة (فاروق الأول) بالخرطوم والمهيمن على
شؤون التعليم المصرى بالسودان سيكون له أكبر فضل لسرعة قيام هذه المؤسسة

العظيمة ، وبلوغها الغاية المقصودة من توثيق الروابط الثقافية بين مصر والسودان .
وختاماً ، لولا ضيق المقام في مثل هذه الاجابة ، لكان لدى الكثير من القول
في الأسئلة التي أجبت عنها بنهاية الايجاز . ولكني اجتزأت بالأقل والأدلّ ، راجياً
لهذه البلاد العزيزة وأهلها الكرام كل تقدم ورفاهية وصلاح حال .

هل تتعارض مصلحة مصر مع مصلحة السودان

ووجهت الى جريدة « النيل » أسئلة عن مصلحة مصر وهل تتعارض مع مصلحة
السودان فأجبت عليها في حديثٍ نشرته الجريدة في صدرها في عدد يوم ٢١ يناير ١٩٤٥
وقدمت له بكلمة من عندها .

وفي ما يلي نصّ الحديث وديباخته نقلاً عنها :

« (صاحب العزة) يوسف (بك) نحاس من كبار الاقتصاديين المصريين الذين
عرفوا بحسن الادراك وسعة الأفق ونضوج الرأي والخبرة الطويلة . وقد كان لهذه
الصفات مجتمعة موضع ثقة الحكومات المتعاقبة والدوائر الاقتصادية المختلفة . فهو
المستشار الذي يلجأ اليه عندما تشبك الأمور وتعتور الصعاب ويحتاج الى كلمة
الفصل والرأى المستقيم .

ومن ذلك أنه كان المستشار الاقتصادي لوفد مصر عند عقد المعاهدة المصرية
الانجليزية ، كما كان من أعضاء البعثة المصرية الاقتصادية التي زارت السودان عدة
مرات ، وعضواً في البعثة الاقتصادية التي زارت إنجلترا .

ونحاس (بك) طويل القامة مهيب الطلعة رشيق العبارات يميل دائماً في حديثه
الى ضرب الأمثلة ، صريح في آرائه جرىء في ابدائها .

وقد اتصل (بعزته) مندوب « النيل » « بالجراند اوتيل » حيث ينزل ، وتقدم اليه
بأسئلته فرحب بالاجابة مشكوراً وهي في ما يلي :

س — هل ترون ان مصلحة السودان تتعارض مع مصلحة مصر الزراعية ؟

ج - إننى لا أدري من أين يأتى هذا التعارض . فالسودان بلد مترامى الأطراف ، آخذ بأسباب النمو من ناحية عدد السكان ومن ناحية حسن الإدارة ونشر التعليم الزراعى ، فضلاً عن الثقافة العامة ، وإن كان فى جل ذلك ما زال بادئاً وفى حاجة إلى المزيد . فإذا كثرت فيه الأيدي العاملة التى تستطيع أن تحيى الأراضى الموات الصالحة للزراعة ، وتوافرت المعدات وأهمها المياه بحيث تخرج هذه الأراضى مختلف المحصولات ، فلا يضير ذلك مصر أكثر مما يضيرها أن يتسع نطاق الزراعة فى أية بقعة من بقاع الأرض . خذ القطن مثلاً ، ويلوح لى أن منتجه فى مصر هم الذين قد يخشون مزاحمة السودان لهم فى هذا الصنف ، فأقول وأنا مصري منتج للقطن إننى لا أستطيع أن أفهم كيف أخشى هذه المزاحمة ، وجميع أقطار العالم على التقريب ساعية إلى استنبات القطن عندها . وهناك أيضاً الألياف الصناعية مثل الحرير الصناعى وما إليه ، يتزايد إنتاجها يوماً بعد يوم . على أن مصر تكون فى مأمن من كل خطر يهددها من هذا الجانب إذا هى وسعت صناعة الغزل والنسيج عندها . ففى اليوم الذى يوفقها الله فيه إلى غزل ونسيج ما يكفى لكساء سكانها والبلدان المجاورة لها ، لا أعتقد أنها تتعرض لبوار سلعتها بسبب جوار السودان أو مزاحمة غيره من البلاد . وإنى لأرجو أن يتاح للسودان إنشاء مصانع فيه للغزل والنسيج ليفيد الافادة الحقيقية من إنتاجه القطنى . أما سائر الأصناف الزراعية فلا إخال ما يفيض منها عن حاجة السودان التى تزداد بازدياد عدد السكان ستؤثر أى تأثير ضار بمصلحة المنتج المصرى ، بل إن من محصولاته ما تحتاج مصر إليه ويفيدها جداً أن تستورده بكثرة .

س - يقال إن المياه المخصصة للسودان بموجب اتفاقية المياه كادت تستنفد جميعها ، وإن الحكومة السودانية سوف تسعى إلى تعديل الاتفاقية بما يحقق للسودان قسطاً أوفر من تلك المياه ، فهل ترون أن هذا التعديل يتعارض مع مصلحة مصر ؟

ج - لست متخصصاً فى مسألة مياه النيل التى لها علمائها والخبراء بها ، ولكننى وأنا أرى ما يضيع من تلك المياه سنوياً فى البحر الأبيض المتوسط ، أعتقد أنه إذا تسنى لأولئك الخبراء أن يحتفظوا للقطرين بهذه الكميات الطائلة المفقودة ، عدا ما يذهب

ضياءً على طول الطريق من منابع النيل إلى مصبه ، ففي ذلك ما يسد أقصى حاجات القطرين . فالمسألة مسألة مال ينفق لضبط تلك المياه إنفاقاً علمياً حكماً . ومهما يبلغ هذا الاتفاق من الجسامة ، فلن يكون فيه اسراف إلى جانب ما تدعو إليه الضرورة . وفي الابطاء تقصير لا يخفى الحيف الذى يتأتى منه للبلدين جميعاً . فأرجو أن تصح عزائم المسؤولين على تحقيق هذه الأمنية الجلى بأسرع ما استطاع .

س — ما هى أحسن الوسائل لتنمية العلاقات الاقتصادية بين القطرين ؟

ج — الوسيلة المثلى هى أن يكونا قطراً اقتصادياً واحداً يتبادل أهله المنافع والسلع والأرزاق من غير أن تقوم دون ذلك حواجز أو عوائق من أى نوع كان . وعندى انه عند ما يرسخ فى أذهان أهالى القطرين الشقيقتين وأولياء الأمر فيهما تقع هذا الاتصال الاقتصادى الوثيق الذى هو أقوى رابطة تربط الشعوب وتؤلف القلوب ، عندئذ ستخلق الوسائل وتذلل الصعاب باجتماع الجهود العامة والخاصة ، وتآزر الذرائع التى تتفتق عنها فطن كل ذى مصلحة فى تنمية العلاقات الاقتصادية بين القطرين .

وإنى لأحمد الله ان السعى الأول الذى قامت به بعثتنا المصرية بإعاز المغفور له (الأمير) عمر طوسون ، وقد مضى عشرة أعوام على قيام تلك البعثة من مصر إلى السودان ، قد أتى ثمراته الطيبة . وإن هى إلا بواكير نأمل بعد زوال آفات الحرب أن تزداد ترعرعاً وازدهاراً . والله أسأل أن يكلاً هذا القطر العزيز ، وأهله الذين تملك حبهم قلبى ، برعايته .

وأبرق مراسل «الأهرام» الخاص فى الخرطوم إلى جريدته بمحدث نشرته فى عددها الصادر فى يوم ٦ فبراير ١٩٤٥ بعنوان «مصلح مصر والسودان» وهذا نصه :

«الخرطوم — لمراسل «الأهرام» الخاص — أفضى إلى الأستاذ يوسف نحاس (بك) بمحدث خاص دحض فيه رأى القائل بأن هناك تعارضاً بين مصلحة السودان ومصلحة مصر الزراعية .

ومما قاله : إذا كثرت فى السودان الأيدي العاملة ، وتوافرت المعدات ومياه

الرى ، فازداد الإنتاج الزراعى ، فإن ذلك لا يضير مصر أكثر مما يضيرها اتساع نطاق الزراعة فى أية بقعة أخرى من بقاع العالم .

وبعد أن أشار إلى أن مصر ستأمن خطر المنافسة بتوسّعها فى صناعة النسيج ، قال عن تعديل الاتفاق الخاص بالمياه إن مقادير هائلة تضيع من ماء النيل فى البحر الأبيض المتوسط ، فإذا اتفق على ضبط المياه فلن يكون هناك إسراف أو تجاوز لما تدعو إليه الضرورة .

ثم ذكر أن خير الوسائل لتنمية العلاقات الاقتصادية بين البلدين هو أن يقيم وحدة اقتصادية ، وأن يتبادل سكانهما المنافع دون إقامة عوائق أو حواجز .

خواطر سودانية

ونشرت لى جريدة « السودان » فى عددها الصادر فى يوم ١٦ مارس ١٩٤٥
خواطر سودانية قدّمت لها بكلمة من عندها ، وفى ما يلى الخواطر وعبارة التمهيد :
« الدكتور يوسف (بك) نحاس من رجال الاقتصاد المصرى عملاً وفناً ، ومن روّاد النقابة الزراعية الذين أبلوا فى جهاد مصر الاقتصادى بلائاً حسناً فى صمت وهدوء . والعمل الصامت دائماً كالعملة الجيدة ، لا يتداولها الناس إلا إذا بحثوا عنها . وقد بحثنا عن الدكتور فوجدناه ، فضلاً عن أنه عضو أول بعثة اقتصادية مصرية للسودان ، عضواً فى لجنة السودان الدائمة ، وزائراً دائماً للسودان . وها هى الحرارة التى اكتسبها من جو السودان عقب زيارته الأخيرة الحافلة منذ أسابيع لا تزال تشعّ فى محدثيه الدفء . وها هى خواطر نسوقها عنه ، فاجتهد أن تفهم من خلال سطورها كما تفهم من سطورها ، وهكذا فلاسفة الاقتصاد يعالجون المسائل معالجة فيها كثير من الاقتصاد .

نهضة اقتصادية : إن العمل الأولى والأساسى للسودان ، إذا أراد أن ينهض اقتصادياً ، هو الزراعة . فدنياها هناك ليس لها أخرى . فما هى إلاّ عزيمات صادقات ،

وحذب وتوجيهات ، حتى تغدو هذه السباسب المتزامية ديباجة خضراء ونضاراً وهجاً
وسندساً وإستبرق !

أو ليس هذا العملاق الذى لا يغفو هو النيل ! وهذا الرذاذ الذى لا ينضب
هو الأمطار ؟ وهذه البقاع التى لا تنتهى هى التربة ! ؟

أين مصر ؟ ! : إن مساهمة مصر فى هذا الجهاد الذى يُحيى السودان لا مندوحة
عنها ولا غنى فى الحصول عليها .

ها قد عدلت رأيي : ولاني وإن كتبت عام ١٩٣٦ رأياً لا يحبذ هذه المساهمة
تحت ضغط الظروف فى ذلك الزمن ، إلا أني اليوم أعدل عن ذاك ، وأهيب بينى وطفى
أن يولّوا وجوههم شطر السودان . ففى أرضه العذراء قوة تحيل الترب تبرا !

شركة زراعية جديدة : وها هو مشروع شركة يسير فى ضمير الغيب ليؤدى رسالة
زراعية فى السودان . ويا حبذا لو تمت المعجزة وخرجت « الشركة المصرية السودانية
الزراعية » تؤاخى أختها التجارية .

الصناعة أيضا : تلمست أثناء زيارتي للسودان تحمّساً كبيراً لتشييد صرح الصناعة .
فمصانع الغزل والزجاج والعمود والدباغة با كورة طيبة لمستقبل وارف الظلال .
وهناك مواد أولية كثيرة مختلفة ، أهمها الصناعات الزراعية والمصنوعات القطنية
والجلدية وغيرها من الصناعات الخفيفة . غير أن الصناعات الثقيلة لا أظنها تنهض
سريعاً ، وليس معنى هذا خلوّ السودان من المعادن ، ففى جوف السودان الكثير
منها الذى يحتاج للتعدين والتنقيب . أما الفحم ، فهناك الفحم الأبيض الذى ينتج من
سرعة جريان الأنهار القصيرة فى الجنوب .

نهم ثقافى : فى السودان نهم ثقافى . فما أظن أن شعباً من شعوب العالم ، وقد
زرت أكثرها ، ينطلق خلف قافلة العلم انطلاق السودانيين ! ففى السنوات العشر
الأخيرة بين سنتى ١٩٣٥ و ١٩٤٥ لحظت تغييراً وتطوراً وتقدماً بادياً للعيان !

الكلمة الطيبة : ان الكلمة الطيبة تؤثر في نفس السوداني بما لا يؤثر الذهب ان كانت ترغيباً ، ولا يؤثر الرصاص ان كانت ارهاباً !

خليل مطران : لقد استقبل السودانيون مطران استقبالا رائعاً جعله يقول :
لقد عدت إلى شبابي . وهل أروع من أن يعود الشيخ إلى شبابه ؟ !

مشروع الجزيرة : هو للسودانيين لا نزاع ولا ريب . أما الرأي الفنى فيه ، فلا يكون إلاّ بعد الدرس والاستيعاب . ولعل ظروفى تمكّننى ، إذا وصلتني المعلومات التى أطلبها ، أن أقوم ببحثٍ فنى هو دينٌ فى عنقٍ لنهضة السودان الاقتصادية .

بنك السودان : لا أرى أن الوقت قد حان لإنشاء هذا البنك ، وربما يؤون بعد ازدهار الصناعة ونمو التجارة .

التموين هناك : أشهد بأن إدارة التموين فى السودان منتظمة تمام الانتظام ، وأن نظمها تدق دقات جرينتش لا تأخير ولا تقديم ، يستوى فى هذا الحاكم العام مع رجل الشارع . ولقد شاهدت بنفسى من الحوادث ما يثبت قولى .

تقرير : إننى أعدّ تقريراً عن رحلتى سأوجه به للجهات المختصة .

السياسة : لعننا الله ، ولكن لتطمئن مجلة « السودان » !

مقال ورد

ولم تسلم زيارتنا للسودان من سوء تأويل وخطأ تعليل .

فى الثامن والعشرين من شهر ديسمبر ١٩٣٥ ، طلعت علينا جريدة « الأمة » بمقال عنوانه « الاحتيال السياسى والأمية السياسية » ، أساءت فيه تفسير مغزى رحلتنا على الرغم من أننا لم نخف من أمرها شيئاً .

وعلى إثر نشر هذا المقال في جريدة « الأمة » بعث الأستاذ بيومى على الأبيض إلى الجريدة وإلى جريدة « رأى العام » بردّ استنكر فيه فحوى هذا المقال المستهجن واستشهد بأحاديثي في الصحف وفيها قلت إن مصلحة مصر لا تتعارض مع مصلحة السودان، بل إن القطرين متكاملان يحتاج كل منهما إلى الآخر .

وختم الأستاذ الأبيض ردّه بقوله :

« أليس هذا إذن أمراً غريباً وادّعاءً عجيباً ؟ أى احتيال سياسى يقصده الأخ الفاضل محرر جريدة « الأمة » ؟ لم يوجد بعد مصرى يرغبى استغلال السودان وأهل السودان . ولن يوجد الشخص أبداً . إننا إخوة قد وحدت بيننا المصالح المشتركة ، ووحد بيننا الألم والأمل ، ووحدت بيننا المصالح الدنيوية والأخروية . إن مصر التى تهبّ لمساعدة أىّ أمة مسلمة ألمّ بها خطر أو ضرر ، لا تفكر أبداً فى استعمار السودان أو استغلاله كما تدعون .

ترى أيسكون هذا احتيالا سياسياً منكم ، بالنسبة لأنه يعارض دعوتكم الانفصالية ؟ أم ماذا يكون ؟ إننى حائر والله فى أمرى . فلا زلت أنظر إليكم كوطنين يخدمون بلادهم بما يرونه الصالح . فهل من صالح الوطن أن تشوّه الحقائق ؟ وإنى أسوق إليكم قول الله تبارك وتعالى « يا أيها الذين آمنوا ، إن جاءكم فاسقٌ بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » .

ولن أقول إنها مغالطة ، كلا وكلا ، إنما التمس لكم عذراً ، فربما عند الاطلاع التبس عليكم شئ . وما زلت عند حسن ظنى بكم أيها الاخوة ، وفقنا الله جميعاً لما فيه خير البلاد والمواطنين الأعزاء » .

اقترح إنشاء شركة سودانية مصرية

تستغل الأراضى فى الجنوب

وقد أتيح لى فى مستهل عام ١٩٤٦ أن أزور السودان مرة أخرى ، وأن أتصل بأهله وأبنائه ممن أستطيع صحبتهم وعشرتهم ويأمنون لصحبى ، فعاد رجال الصحافة يسألونى فى أمور السودان الاقتصادية ، فلم أذكر وسعاً فى إجابتهم إلى ما يطلبون .

وقد زارنى الأستاذ يحيى عبد القادر محرر جريدة « النيل » وتحدث معى طويلاً ، ثم كتب فى جريدته بتاريخ ١٧ يناير ١٩٤٦ يقول :

« يزور السودان الآن الاقتصادى المصرى الكبير الدكتور يوسف (بك) نحاس والسيدة الفاضلة قرينته كعادتهما فى كل شتاء . ونحاس (بك) رغم بلوغه السبعين ماضى الذهن . . . كثير النشاط . . . كثير التنقل ، لا ينقطع عن الدراسة والبحث والعمل فى الميدان الاقتصادى .

وقد زرت (عزته) صباح أمس حيث ينزل فى « الجرانند أوتيل » ومضى بنا الحديث إلى التقرير الذى كان قد وضعه فى العام الماضى عن شؤون السودان للبعثة المصرية عقب عودته من الخرطوم .

فقال (عزته) إن البعثة اهتمت به ، وأعارت الاقتراحات التى تضمنها كثيراً من عنايتها ، مما دعاها إلى تقرير طبعه وتقديمه إلى جهات الاختصاص . ثم شرعت بعد ذلك فى تكوين لجنة لدراسة مشروع إنشاء شركة زراعية فى السودان برأس مال يشترك فيه المصريون والسودانيون على السواء .

وتهدف هذه الشركة إلى العمل على ترقية أساليب الزراعة والصناعات الزراعية فى السودان بغية توطيد الناحية الاقتصادية بين القطرين الشقيقين .

ثم وكلت اللجنة بعد المباحثات الأولية إلى رئيسها (سعادة) فؤاد أباطه (باشا) الاتصال بحكومة السودان في هذا الشأن . ولا تزال المكاتبات دائرة .

وإن لنا لو طيد الأمل في أن تمهد الحكومة السودانية السبيل وتذلل العقبات حتى تستطيع هذه الشركة أن تؤدي رسالتها على أحسن ما يكون الاداء . وقد بدا من إخوانكم المصريين حمس مشكور لهذا المشروع ، مما دفع الحاضرين ، وعددهم لا يزيد على العشرة ، لابتداء الرغبة في أن يكتبوا هم أنفسهم بجميع رأس المال الأولى للشركة ، وقد اقترح أن يكون مقداره خمسين ألف جنيه .

ومن ضمن الاقتراحات التي عرضت على لجنة التأسيس أن تحصل الشركة على احد مشروعات حكومة السودان في الجنوب لتتولى هي القيام به ، أو تسمح لها بإنشاء مشروع مماثل هناك . وخصت الشركة الجنوب بالذات نظراً لجودة التربة ووفرة الأيدي العاملة مما يساعدها على نجاح عملها بسرعة ، فضلاً عما تستفيده تلك المناطق من تدريب أهلها على أساليب الزراعة والصناعة الزراعية الحديثة .

واستطرد (عزته) بعد أن نوه بأهمية النهضة الزراعية للسودان في طوره الحالي فقال : وكان (سعادة) صديقي فؤاد أباطه (باشا) يعتزم الحجى معى في هذه الأيام ، ولكن حالت ظروف خاصة دون تحقيق بغيته اضطرته إلى تأجيل حضوره . ولعله يستطيع موافاقي هنا قبل مبارحتي الخرطوم إلى مصر .

وأرجو ، إذا تيسر له الحضور ، أن يستطيع بمحادثاته الشخصية مع الجهات المختصة الوصول إلى نتيجة أسرع مما يمكن الوصول إليه عن طريق المكاتبات .

وبعد أن شكرته على تلافه باطلاعى على هذه المعلومات والشؤون الهامة ، رجوته أن يحدثنا عن وجهة نظره في بعض الاقتصاديات السودانية ، فاعتذر في الوقت الحاضر ، وربما يوافينا برأيه عنها في وقت آخر .

في جريدة « الأهرام »

وتلقت جريدة « الأهرام » من مراسلها في الخرطوم رسالة نشرتها بعدد ١٨ يناير ١٩٤٦ بعنوان « المصريون والمشروعات الاقتصادية في السودان » نصها :

« الخرطوم في ١٧ - لمراسل الأهرام - أفضى الدكتور يوسف نحاس (بك) على إثر وصوله إلى العاصمة السودانية بحديث إلى جريدة « النيل » قال فيه ان البعثة المصرية الاقتصادية في السودان رغبت في إنشاء شركة رأس مالها الأوّل ٥٠ ألف جنيه يشترك فيها المصريون والسودانيون لإنشاء مشروع زراعى في السودان . وقد اقترحت البعثة على حكومة السودان منحها امتياز أحد مشروعاتها في الجنوب حيث تجود التربة وتتوافر الأيدي العاملة . وقد يصل قريباً إلى الخرطوم فؤاد أباطه (باشا) الذى يعدّه السودانيون صديقهم لمحاذة الجهات المختصة في هذا الشأن ، إذ كانت لجنة الشركة قد عهدت إليه في الاتصال بهذه الجهات المختصة » .

تعليق جريدة « النيل »

وكتب الأستاذ يحيى عبد القادر محرر جريدة « النيل » تعليقاً على هذا الحديث نشره بعدد يوم ٢٠ ابريل ١٩٤٦ بعنوان « آراء طليقة : الاستغلال الزراعى المصرى في السودان » قال فيه ما نصّه :

نشرت هذه الجريدة في عددها يوم الخميس الماضى ، حديثاً قيماً للدكتور يوسف (بك) نحاس أشار فيه إلى الجهد المشكور الذى تبذله اللجنة التى كونتها البعثة الاقتصادية المصرية بغية انشاء مشروع زراعى في الجنوب ، يبلغ رأس ماله الابتدائى ٥٠٠٠٠ جنيه .

وقد أثار هذا المسعى الكثير من الاهتمام ، لما له من دلالة على اتجاه مصرى عملى جديد سوف يكون له ، لو نجح واستمر ، فوائد واسعة المدى .

وقد كنا دائماً من مناصرى أمثال هذه الخطوات الاقتصادية من مصر . ذلك

ان أغلب الأراضى السودانية الصالحة للزراعة والاستصلاح فى الشمال والجنوب لم تزل
عذراء ، وتحتاج الى من يمد لها يده ليستخرج خيراتها . . . وليس السودان من الوفرة
والثراء بحيث يستطيع أن يفعل ذلك بنفسه . . . فهو بالضرورة يرفع عينه الى الأموال
الخارجية والجهود الخارجية . وهل أقرب من مصر الجارة الطيبة والشقيقة الغنية ،
رحمًا ، وأدنى صلة . . . وأجدر بأن تؤدى واجبها فى هذا المجال ؟

وما ندرى لم يقدم المصريون رجلا ، ويؤخرون أخرى ، عندما يهتمون ببذل
أموالهم فى السودان . . . والميدان الاقتصادى هو أكثر الميادين إحكامًا للروابط بين
الشعبين ، وأبعدها فى حياتهما أثرًا ، وأدومها نفعًا ؟

أضف إلى ذلك ان هذه الأموال سوف لا تتبدد ، بل ستبقى وتعود على أصحابها
بأرباح غير هينة . وللدكتور يوسف (بك) نحاس فى تقريره الأخير إيضاحات فى هذا
الشأن يصح الرجوع إليها .

فالأراضى السودانية زهيدة فى أجورها . وإذا كانت ثمة صعوبات فى وسائل النقل ،
فمن السهل تذليلها .

وان آذاننا لم تنفك تردد صدى كلمات السرسنيوارت سايمز حاكم عام السودان
السابق التى رحب فيها بالاقتصاديين المصريين والأموال المصرية . وكان من جراء دعوته
قدوم البعثة المصرية الاقتصادية عدة مرات .

ولم يحل بينها وبين استغلال الأراضى غير إحجامها وإحجامها فحسب .

لقد سمعنا كثيرًا من الأقاويل عن البواعث التى حدت بالمصريين لى يكفوا
أيديهم عن بذل جهودهم الاقتصادية الجديدة فى هذه البلاد ، وكان بوجدنا أن نعر على
ما يدعى هذا الذى يقال ، ولكننا مع الأسف نجد أنفسنا عاجزين .

فالباب مفتوح في هذا الميدان أمام الجميع . وأخشى أن يكون معظم الأقاويل
أوكلها لا يتعدى دائرة الخيال والوهم .

وللاستغلال الزراعى في السودان ، لوشاءه المصريون ، وجوه عدة . فهناك غير إنتاج
الحصولات ، إنشاء حدائق الفاكهة ، واستنبات الغابات للائتفاع بأخشابها ، وإقامة
الصناعات الزراعية كمطاحن الحبوب ومعامل تجفيف الفاكهة وصنع الصلصات ، وتعبئة
الأطعمة وغير ذلك مما هو جديد مبتكر يدر الرزق الواسع ويفتح أبواباً جديدة
أمام السودانيين والمصريين على السواء .

فهل أقدموا وعملوا وعاونوا ؟ لقد كنا نود أن يفعلوا مع التضحية ، فكيف وهناك
الكسب الحلال ؟ » .

مريت في مجده « كردفان »

ونشرت مجلة « كردفان » في عددها الصادر في أول فبراير ١٩٤٦ حديثاً بعنوان
« س وج مع (صاحب العزة) الدكتور يوسف نحاس (بك) » هذا نصّ نقلها عنها :
« الدكتور يوسف (بك) شخصية اقتصادية مرموقة في الدوائر التجارية بمصر ، وقد زار
السودان مرات عديدة أولها زيارته مع البعثة المصرية عام ١٩٣٥ . وفي العام الماضي زار
السودان ونشر تقريراً عن حالة السودان الاقتصادية والاجتماعية سنلخصه في عدد مقبل
لطرفته وفائدته . وقد زرته في نزله « بالجراند أوتيل » وعلمت منه انه حضر الى
السودان طلباً للراحة والدفء . وقد وجهت له بعض الأسئلة المتصلة باختصاصه ، ولها
صلات اقتصادية بكردفان ، فتفضل مشكوراً بالإجابة عنها . وإذ نبادر بنشر آرائه القيمة
لا يفوتنا الا ان نزجي له الشكر ، داعين له بالصحة وطول العمر .

س — صدر الى مصر كميات لا بأس بها من الصمغ العربي ، ففي أى عمل يستعمل ؟

ج — الصمغ من نوعى الهشاب والطلح المستوردين من السودان يستعملان في

مصر لصنع الحلوى والورق المقوى (الكرتون) والورق . وتستخدم مقادير قليلة منه في صناعة الاقشة اليدوية المحلية . على أن الكميات التي يصدرها السودان الى مصر من الصمغ بنوعيه محدودة .

س - صدرت كردفان الى القطر المصرى عام ١٩٤٥ حوالى ١٦٠٠٠ طن من حب البطيخ ، فهل كل هذه الكمية تستعمل (للتسالى) أو يستخرج منها منتج آخر ؟
ج - الذى أعلمه ان جميع ما يرسله السودان الى مصر من حب البطيخ يستهلك في الحامض وبيع للجمهور للتسالى . إلا أنه حصل في العام الماضى أن استعملت مصر حب البطيخ نمرة ٢ الأحمر غذاء للطيور بالنظر الى رخص أسعاره . ولا أعلم ان مصر أهتمت الى الآن باستخراج مادة زيتية من حب البطيخ .

س - ما الذى أعجبك في النهضة السودانية ؟

ج - الذى أعجبني في النهضة السودانية وأشدت به في أحاديثي الصحفية عام أول ، هو تعطش أهل هذه البلاد المحبوبة للعلم ، وما بلغته في فترة قصيرة من التقدم الملموس في هذه الناحية مما يبشر بكل خير . وان المجهودات المبذولة ، سواء من حكومة السودان ، أو من حكومة مصر ، أو من الهيئات والأفراد لنشر نور العلم والعرفان ، خليفة بالتقدير . وإننى ألحظ في الناحية الاقتصادية نهضة فكرية متحمسة قد صاحبها عزيمة على المضي قدما في مضمار العمل المثمر . فإذا وإلى أبناء السودان سيرهم في هذا السبيل بإقدام مقرون بالحذر ، فلا يمضى زمن طويل حتى نرى مختلف الصناعات التي تتوافر لها في البلاد أسباب النجاح قد نمت وترعرعت ، خصوصاً إذا أولتها الحكومة المحلية رعاية وتشجيعاً . وفي مجال الصناعة متسع لجميع الجهود . وفق الله اخوانى السودانين ، وهياً لهم من أمرهم رشداً .

وإن أمنيى القصى هي ان يتضافر القطران الشقيقان لاستثمار خيرات السودان الطبيعية الوفيرة ، فيمضيان بهمة وأخلاص في مجال الصناعة والزراعة والصناعات الزراعية مكملًا كل منهما ما ينقص الآخر ، وبذلك تتحقق النهضة الاقتصادية المباركة . وهذا

الرباط اذا أحكم بينهما ، كان أقوى ما تقوى به وشائج المحبة والاخاء .

س — ألا ترى ان السودان في وقته الحاضر في حاجة الى بنك سودانى ؟ وكم تقدر رصيذاً لنجاحه ؟

ج — قد يكون التريث زمنًا قليلا خير ما أنصح به ، لأن انشاء بنك اهلى سودانى يجب ان يرتكز على نهضة اقتصادية أوسع نطاقاً وأكثر قوة . وأرى من التسرع خطر الاخفاق . فإذا أخفق مشروع كهذا ، لا قدر الله ، كان أثره عميقاً فلا يتسنى العودة اليه قبل انقضاء وقت طويل . اذ ان البنك المنشود هو بنك أهلى ، أى بنك يكون رأسماله جميعه أهلياً . ويبدو لى أنه يتعذر تحقيق هذه الأمنية السامية في الظروف الحالية ، والشئون المالية العالمية على ما هو مشاهد من التقلقل والاضطراب !

س — لماذا لا تتأثر السوق التجارية في السودان من التضخم المالى في مصر ؟

ج — إن السوق السودانية بقيت الى الآن غير متأثرة بالتضخم المالى الذى منيت به مصر بفضل ما حرصت عليه حكومة السودان منذ نشوب الحرب من ضبط الأسعار ومنعها من التهور وكبح جماح المضاربات . وقد صادفت هذه التدابير الحكيمة قبولا حسناً من أهالى البلاد ، وأمثالاً للقوانين والانظمة الموضوعة قد لا يحاولون خرقها . لذلك لم ترج عندهم السوق السوداء كما راجت عند سواهم . هذا الى ما جمّل الله به الشعب من فضيلة القناعة والرضى بما قسم الله سبحانه وتعالى لكل واحد من عباده ! «

هل يستطيع انشاء بنك أهلى فى السودان ومنى

وزارنى الاستاذ يحيى عبد القادر محرر جريدة « النيل » مرة أخرى ليسألنى عن امكانيات إنشاء بنك أهلى فى السودان ، فأفصيت إليه بمحدث نشره فى صدر جريدته بتاريخ ١٣ فبراير ١٩٤٦ ، وهذا نصه نقلاً عنها :

« ثار لفظ كثير في العام الماضي حول امكان انشاء بنك أهلى فى السودان فى هذه الآونة .

وقد انتهزنا فرصة وجود الاقتصادى المصرى الكبير الدكتور يوسف (بك) نحاس فى الخرطوم وسألناه رأيه فى هذا الموضوع الهام فقال :

إذا كان هذا البنك الذى يراد انشاؤه على غرار البنوك المالية التى عرفتموها كبنك الباركليز والاهلى ، فاسمحوا لى ان أقول ان البلاد غير مستعدة له الآن استعداداً يكفل له النجاح ويجعله فى مأمن من العثرات .

ويرجع عدم الاستعداد الى عوامل عدة ، منها ان السودان فقير وليس به رؤوس الاموال الكافية لتشغيله ولادارة دولاب أعماله بحيث يصمد أمام المنافسة الاجنبية .

ويجب ان يلاحظ ان مجال العمل للبنوك فى السودان لا يزال ضيقاً . وحسبك ان تعلم ان أهم أعمال البنوك العادية التى تجلب لها الربح هى عمليات التسليف على السلع وخصم الكمبيالات والقطع التى يعبرون عنها بكلمة الكامبيو ... كما تعتمد على الودائع المالية التى يضعها الجمهور اذا نالت ثقته ، ولذلك كانت أهم شرط لنجاح البنوك .

ومن الاسراف فى التفاؤل ان يقال ان ذلك كله سيتوفر للبنك السودانى حالياً . ولعل نظرة الى ما حاق ببنك مصر منذ عهد قريب ، مما اقتضى تدخل الحكومة لحمايته رغم اتساع المجال هناك ، يوضح ما قصدت اليه .

أما ان كان هذا البنك المقصود انشاؤه زراعياً على غرار بنك التسليف الزراعى المصرى ، فإننى أرى تحقيقه أيسر حين تنهيا له الظروف الملائمة . وأهمها بالبداهة اطلاق حرية التصرف فى المحصولات ، وأن توجد وتتركز المشروعات الزراعية الكبيرة ، وأن تظفر هذه البلاد باستقرار اقتصادى معقول بعد هذه الحرب .

على انه مما لا مندوحة عنه أن توجد قبل هذا وذاك النواة الاهلية العاملة فى

هذه البنوك، أى أن يعد نفر من السودانيين الذين يخذون أعمال البنوك وإدارتها
ويلمون المالمًا دقيقًا بشؤونها فى الداخل والخارج على السواء .

واننى ، دون ريب ، لست أقصد بما أقول التثييط بل التبصير والتحذير . فالأعمال
المالية تقتضى التؤدة وإعمال الروية ومواجهة الحقائق مجردة عن العواطف والوثبات
الوطنية الحماسية الجامحة .

واننى لقوى الايمان بأن السودان مقدم على مستقبل اقتصادى زاهر بهمة أبنائه
الميامين وبمعاودة اصدقائه واخوته والعاطفين عليه ، وخاصة المصريين .

ولعلى اضغط على كلمة معاودة المصريين ضغطاً شديداً ، لانها لو تحققت بصورة
جدية لاحتثت أحسن النتائج .

الفصل الثالث

بين إخوة كرماء

أبي السودانيون الاشقاء إلا أن يجعلوا من زيارتي مع صديقي الأستاذ خليل مطران للسودان مناسبةً للحفاوة والتكريم . ولم تقلح اعتذاراتنا المتكررة أمام ما طبع عليه أهل السودان من كرمٍ أصيل ونبيل عريق وعرقان بالجميل غير محدود . فالفينا أنفسنا مطوقين بأطواقٍ من المنن أينما حللنا وحيثما توجهنا . ولا تقتأ الأندية والجمعيات تقيم لنا حفلات التكريم فيتبارى فيها الشعراء والخطباء مظهرين مشاعرهم الطيبة تجاه مصر ، معربين عن ترحيبهم بكل ما من شأنه أن يعزز علاقات شقى الوادى ويحقق مصالحهما المشتركة وأمانيهما الواحدة .

وقد رأيت أن أثبت هنا بعض ما روته الصحف السودانية عن هذه الحفلات ، وما ألقى فيها من خطب وما أنشد من قصائد ، منتزاً هذه الفرصة لأجدد لأهل السودان الأعزاء آيات التقدير والشكران ، مؤكداً لهم أن ما غالوا في إبدائه من تكريمٍ لشخصى الضعيف إن هو إلا فيضٌ من عاطفتهم الجياشة نحو مصر وشعب مصر ، وما غرضي من اثبات هذه الخطب والقصائد التفاخر والزهو ، وإنما أردت أن أسجل ما بلغه اخواننا السودانيون في ذلك الوقت من الرقى الفكرى في شقى المناهى ، مما يؤهلهم لبلوغ كل ما ينشدونه من مجد وعزة .

مقدمة النادى المصرى

وصفت جريدة « النيل » في عددها الصادر في يوم ١٦ يناير ١٩٤٥ الحفلة التى أقامها

« النادى المصرى » فى اليوم السابق فقالت :

« أقام النادي المصري في أصيل الأمس حفلة شاي فاخرة تكريماً واستقبالاً (لحضرة صاحب العزة) خليل (بك) مطران ويوسف (بك) نحاس بمناسبة زيارتهما للسودان ، وقد دعى إليها الكبراء والأعيان وممثلو الهيئات والجاليات الأجنبية . وبعد أن مكث المدعوون في الحديقة يتبادلون شق الاحاديث ، انتقلوا إلى قاعة النادي الكبرى حيث مدّت الموائد .

وقد خطب (حضرة صاحب العزة) محمد صبرى الكردى رئيس النادي فأشار إلى الأستاذ خليل (بك) مطران وقال إنه من أعلام رجال الصحافة القدماء وأفذاذ الأدباء والشعراء لا فى مصر بل فى الشرق العربى جميعه .

ثم تحدث عن يوسف (بك) نحاس فقال إنه من كبار رجال الاقتصاد الذين أدوا للحكومة المصرية خدمات جليلة . فقد مثلها فى كثير من المؤتمرات الاقتصادية ، كما أخذ رأيه فى النواحى الاقتصادية للمعاهدة المصرية الانجليزية .

وقد القى الاستاذ عبد الحميد زيدان قصيدة عصماء حيا بها شاعر القطرين كان لها أجمل وقع .

ثم نهض خليل (بك) مطران فاعتذر بضعف صوته عن إيفاء المقام حقه وقال إنه لم يكن يعترم الكلام وأنه الآن يرتجل رغم كراهته للارتجال الذى يجعل المرء يقول كل ما يجول بنفسه مدفوعاً بكلمات الخطيبين .

وانتهى من ذلك إلى الشاء على يوسف (بك) نحاس ، وعدّد خدماته للأمة المصرية ، وأشار إلى أنه هو الذى شجعه على زيارة السودان .

وقد تحدّث عن نفسه فقال ان شهرته قامت على أنه كان ظلاً لكبار الشعراء والكتّاب الذين أسسوا النهضة الشعرية والأدبية فى الشرق العربى .

ثم شكر المحتفلين به وأثنى بصفة خاصة على (حضرة صاحب العزة) رئيس النادي ، ووصفه بأنه ترك ما كان يتمتع به فى مصر من نعيم وجاء الى السودان طائعاً مختاراً ليساهم فى خدمة البلدين .

ومتنى تحقيق الآمال في الاتحاد العربى وأن يكون للسودان مكان لائق به .

مفرد الجالية السورية

وأقامت الجالية السورية حفلة شاي في محل « انطونيادس » برياسة الأب نعمة الله حداد ، شهدها ١٣٠ مدعواً بينهم كبار المصريين في السودان .

وقد ألقى الأب نعمة الله حداد كلمةً نشرتها جريدة « النيل » في عددها الصادر في ١٦ يناير ١٩٤٥ وهي :

« وقفت بهذا المجتمع الحافل بعلمية القوم لكى أعبر عن عواطفى وما يخالجنى من الفرح والسرور . وأرانى أيضاً أعبر عما يخامر قلوبكم من غبطةٍ وجور تنطق بهما وجوه الجميع .

وقفت بالإصالة عن نفسى وبالنيابة عن جمهوركم الكريم لكى نرحب (بصاحبى العزة) الدكتور يوسف (بك) نحاس وعقيلته وخليل (بك) مطران المواطنين الكرام الذين تجشّموا مشقة الطريق لكى يستظلّوا بسماء السودان فى فصل الشتاء اللطيف .

وأكثركم كان يسمع بهذين الاسمين الكريمين من أمواج الأثير أو من أفواه علية القوم كبيرهم وصغيرهم . وأما الآن فتكتحل عيونكم برؤيتهما التى تشرح الصدور .

لو أردت أن أطرى صفاتهما الحميدة وأن أشرح ما لهما من المكانة العالية فى ميدان المجتمع البشرى لقصرت عن إيفائهما حقهما من المديح والتكريم . وإنما أرجع إلى قول من قال « خير الكلام ما قلّ ودلّ » .

إن (صاحب العزة) يوسف (بك) نحاس رجل العلم والعمل والجد والاجتهاد . أجل ، هو الرجل الفذّ فى عالم الاقتصاد والزراعة ، ومقالاته التى كان يدبّجها تشهد له . وهو عضو فى المجلس الاقتصادى الكبير والمجلس الاستشارى الزراعى ، وسكرتير

عام للنقابة الزراعية المصرية العامة وعضو لجنة القطن الدولية ولجنة مصر والسودان . وما من لجنة ذات أهمية من اقتصادية أو زراعية إلاّ انتخب عضواً بها منذ ثلاثين عاماً . وسيمائوه تدل على محمد كريم ونبيل عريق ولطف ساحر . وهو شمس ساطعة في سماء الهيئة الاجتماعية تقترن بفخر النبل والشرف والذوق السليم ، أغنى السيدة المصونة الفاضلة عقيلته وشريكة حياته سليلة المجد الأثيل وكريمة المثلث الرحمت يوسف سابا (باشا) الذى شغل مركزاً كبيراً فى وادي النيل يوم كان مديراً للبريد المصرى ثم وزيراً للمالية ، فبلغ بمنصبه أعلى مقام .

أما (صاحب العزة) خليل (بك) مطران شاعر القطرين الذى نبت فى دوحة المجد والشرف والمكانة العالية ، وأفراد عائلته أشهر من نار على علم فى مدينة بعلبك العظيمة ، فقد اقترن بعروسته ألا وهى العبقريّة الأديبة شعراً ونثراً ، وكوّس لها حياته بأجمعها ، فأصبحت له الزوجة والولد . والمحافل الثقافية والعلمية والاجتماعية تشهد له وتعترف بصدق وطنيته وإخلاصه للعلم والعمل .

والآن أرجو من المحتفى بهم أن يسدلوا ستر العفو عن تقصيرى فى مديحهم وإطرائهم . وأقول لهم : أهلاً وسهلاً ومرحباً بقدمكم الميمون بتشريفكم ربوعنا .

وأما أنتم أيها المدعوون لإحياء هذه الحفلة والداعون إلى إقامتها ، فأشكركم بالإصالة عن نفسى وبالنيابة عن المشاركين بها ، إذ لبّيت الدعوة لأجل التعبير عما يخالج قلوبنا نحو المحتفى بهم . لا زلتم جميعاً فى هناء وسعادة وغبطة وحبور لسنين عديدة . والسلام عليكم .

هفّة النادى السورى

وأقام « النادى السورى » حفلة شاي فى يوم ٢٦ يناير ١٩٤٥ شهدها عدد كبير من المدعوين ، وألقى فيها الدكتور معلوف خطبة رائعة وأنشدت فيها قصائد أورد فى ما يلى اثنتين منها :

وأولى القصيدتين للأستاذ اسكندر فواز وهى :

ترسّمتما الركب المغدّ وقلتما
فقالوا رويداً ما تزودتما لها
ألم تعلمّا أنّ الطريق مخوفة
فلن تريا إلاّ الرذايا طلائحاً
فلا تُخذعا فالماء فى فجواتها
ففى الجيل قد يأتى الحجة واحد
لنا مثلكم فى واحة المجد مأرب
وأين المذاكى والسلاح المذرب؟
ومن دونها فقرٌ يباب سبب؟
على جانبها والفنا يتسرّب
سرابٌ كذاك البرق فى النيق خلّب
أو اثنان والباقون خابوا وخبوا

فقالا مطايانا الحجة والنهى
سنسعى ، فإما بالغين بها المدى
وأسيافنا العزم الذى ليس يُغاب
وإما هلاكاً وهو أحرى وأطيب

ولمّا رأوا ومضى النبوغ تساءلوا
فإنّ صحّ هذا فالخليل وخدنه
لئن مجّد التاريخ أعمال يوسف
فيوسف هذا الجيل قد سار سيره
فإن كان فى فرعون صادم ناصراً
فأجدهم القدموس فى الدهر يعرب؟
خليقان بالعليا وما تتطلب
وما زال بالذكرى يشيد ويطنب
وما ذاك فى علمى أبرّ وأنجب
فهذا إلى الأعلام يعزى وينسب

ويا أيها الخللّ الوفىّ تحيّة
أحبّك أهل الضاد فى كل موطن
تغنيت بالوادى بشعرك هاتفاً
ويا شاعر القطرين مصر وسوريا
تمرّست فى شتى الشؤون ولم تزل
لأنت على السودان ألطف وافدٍ
تقيض من القلب الوفىّ وتسكب
عجيب لعمرى والذى فىك أعجب
فشرق فيه المشدون وغربوا
ومن قال أقطار العروبة أصوب
تهيمن فى شتى الفنون وتخلب
وأصفى من الماء الزلال وأعذب

تملى بنوه من بيانك حقبة
أما شمت في النيلين بسمة وامق
لقد طال حقاً شوقها وانتظارها
حلت بنا دينا فمزته نشوة
فمن منك أولى أن يزين ندينا
فعوفيت يا مطران وازددت رفعة
وها هو بالفدّ الكريم يرحّب
أأصغيت للأطيار في الدوح تخطب؟
فلا بدع إن هبت تهش وتطرب
تظلّ بها الأرواح تطفو وترسب
ومن هو أحنى منك قلباً وأحذب؟
وليس لنا من بعد ذلك مطلب

والقصيدة الثانية لشاعر الشباب السوري اللبناني الأستاذ جوزيف لطيف صباغ ،
وهذا نصها :

اطو الجناح على ربي السودان
العرب إخوان وإن بعد المدى
فاذا شدا طيرُ الرياض « بزحلة »
وإذا تغنى في « الكنانة » بلبلُ
الشرق مهدّ للفنون ولم يزل
الشرق أنجب نخبةً ميمونةً
سطعت معالمه بهم واستكلت
أنى اتجهت فأنت في أوطان
أو فرقتهم دورة الحدّثان
عزفت له « الشهباء » بالألحان
هتفت شواذى النوب بالتحنان
وطن النبوغ ومسرح الفنّان
من كل نابغة وربّ بيان
خيلاءها بالشاعر « المطران »

يا شاعر الأقطار يا خدن العلى
انشد لنا الشعر الرصين فإننا
لك في القلوب مكانة مرموقة
فاذا نثرت فلؤلؤاً متناثراً
في شعرك الزاهي بيان مسكر
هذى قصائدك الفريدة انها
الشعر من فيض الإله معينه
يا بلبلًا غرداً على الأغصان
نموى القريض وفيه غرّ معان
تسمو بها قدراً على الأقران
وإذا نظمت فذاك عقد جمان
مثل الطلا قد عتقت بدنّان
قبسٌ يضيء دياجر الأذهان
وبيانه من نفحة الرحمن

لو أنشد الوثنيّ شرك ساعةً لجنا وسبح خالق الأكوان

ذكراك تدعو ذكر خدنٍ عالمٍ	من آل « نحاس » رفيع الشان
هو الاقتصادى الشهير ومن له	آياته فى الجدّ والعرفان
قد حلّ ضيفاً فى الربوع فغرّدت	جذلاً بلبله على الأفنان
أو لست تسمع من بديع فنونها	ما قام ينشد « شاعر الشبان » ؟
شغفت به الآذان قبل مجيئه	فكان ذكره لحون كمان
والأذن قد تهوى الكريم لصيته	من قبل أن تحظى به العينان
يا أيها الضيفان أهلاً جئتما	وحلتما بمربع الإخوان
شرقتما هذا الجنب فعطرت	أرجأوه بالمسك والريحان
بشرى مجيئكما غزت أرواحنا	وغدت حديث مجالس الخلالن
قد كان عيداً يوم وافانا النبا	والعيد عند لقا كما عيدان

مفرد ملجأ القرش بأسم درمان

وأقام « ملجأ القرش » بأسم درمان حفلة فى داره بعد ظهر يوم الاثنين ٢٩ يناير ١٩٤٥ وصفتها جريدة « صوت السودان » فى اليوم التالى فقالت :

« لم يفت لجنة ملجأ القرش المتيقظة أن تنتهز هذه الفرصة المواتية وتحتفل بضيفى السودان العظيمين شاعر القطرين خليل (بك) مطران والاقتصادى الكبير الدكتور يوسف (بك) نحاس فوجهت لهما الدعوة أمس فى تمام الساعة الرابعة والنصف .

وفى الموعد المضروب ، توافد على الملجأ كبار المدعوين من رجالات العاصمة المثلثة وفى طليعتهم مولانا صاحب الفضيلة الأستاذ الأ كبر الشيخ حسن مأمون قاضى قضاة السودان والأستاذ اسماعيل الأزهرى رئيس المؤتمر ورئيس أركان حرب الجيش المصرى ومدير عام مدرسة (فاروق) الثانوية والأستاذ حسن طاهر رئيس

الملجأ السابق . وكان في استقبالهم فضيلة مولانا الشيخ عمر إسحاق رئيس الملجأ وأعضاء لجنة الملجأ الموقرة .

وبعد أن لبثوا قليلاً في حجرة الاستقبال ، طاف الجميع على مصانع الملجأ المختلفة فأعجبوا أيّما إعجاب بإرهاصات النهضة الصناعية المرتقبة ، وأبدوا ملاحظات طيبة ستكون موضع عناية القائمين بشأن الملجأ .

ثم انتقل الجميع إلى صحن الدار حيث نسقت مائدة فخمة امتلأت ففاضت بكرم رجالات الملجأ . وبعد أن تناولوا أقداح الشاي على نغمات موسيقى الملجأ الشجيّة ، وتجاذبوا أطراف الحديث ، استأذن الضيفان للانصراف . وقد سجّلا في دفتر الزيارات هذه الزيارة الكريمة . وخرج الجميع مسرورين لهذا الثوب الذي بدا فيه الملجأ ، ولهذا النشاط الذي بدا في أروقه . وما ذلك إلاّ بهمة هؤلاء القائمين به الحادين عليه .

مفرد شيخ الأندية

وأقام «نادى الخريجين» في أم درمان — وهو شيخ الأندية — حفلة في مساء يوم الاثنين ٢٩ يناير ١٩٤٥ أتت على وصفها جريدة «صوت السودان» في عددها الصادر في اليوم التالي فقالت تحت عنوان «أمسية نادرة في شيخ الأندية أقامها احتفاء بضيف العاصمة — سوق كبرى للأدب السوداني» :

تنسيق : اهتم سكرتير النادى الأستاذ حسن عوض الله بتنسيق النادى تنسيقاً يتناسب مع مكانة شيخ الأندية وجلال الضيفين الكريمين ، فبذل المجهود الجبار حتى يلبس النادى ثوباً زاهياً ويبدو فى أحلى صورة . فوفق إلى ما أراد ، فكنت ترى المصطبة الكبرى وقد امتدت فيها الموائد الضخمة والمقاعد الوثيرة ، وازينت أرضها بالأبسطة والسجاد وأشرقت منصّة الخطابة وعلاها مكبر الصوت .

موسيقى الهلال : وكانت تصدح موسيقى الهلال فى فترات متقطعة . وقد تبرع

بها النادي الرياضى مشاركة منه فى الابتهاج بالضيفين الكريمين .
كبار المدعوين : وفى الساعة السادسة توافد كبار المدعوين على شيخ الأندية ،
وقد وفق النادي فى جمع عددٍ ضخم من كبار رجالات العاصمة المثلثة وممثلى الهيئات
المختلفة وكبار الشعراء والأدباء والاقتصاديين .

كرم وضيافة : وكان رئيس النادي الأستاذ صادق شوقى يلقي الضيوف مستبشراً
ومرحباً . وقدمت للجميع المرطبات والحلوى وأقداح القهوة ، فغمرهم كرم منظمى
الحفل حتى فاض .

سكرتير النادي : ثم تقدم إلى المنصة سكرتير النادي الأستاذ حسن عوض الله
وألقى خطاباً هو فصل الخطاب ، تعرض فيه لنواحي النهضة الحديثة أجمعها ، ووفق
بين أماني الخريجين والجيل الجديد ، وربط هذا بما يدور على ألسنة المخلصين من
أبناء هذه البلاد .

عبد الرحمن شوقى : ثم صعد إلى المنبر الشاعر الكبير الأستاذ عبد الرحمن شوقى
الذى لازم النهضة الحديثة وسجلها فى شعره الخالد ، والذى كان دائماً فارس الميدان
يصول ويجول والتوفيق يلازمه أينما صال وجال . ولولا بعض السرعة فى الإلقاء ،
لتضاعف إمتاع الحاضرين بهذا الشعر السهل الممتنع .

الخليل يتحرك : وما كاد شوقى يفرغ من قصيدته حتى رأينا شاعر القطرين
يتحرك من أعواده ويريد أن يجيش بمكنون خواطره . وخفَّ إليه سكرتير النادي
ورجاه أن ينتظر حتى ينتهى برنامج الحفل . فجلس بالقرب من المنصة يستمع وقد
ظهرت عليه علامات التأثر العميق .

شاعر الشباب : ثم جاء دور شاعر الشباب (شاعر النهضة) محمد المهدي مجذوب
فكان قوياً تتسابق إليه المعانى وتتدفق وتختلط بالحس والشعور فتتزعج هذا الإعجاب
الذى عبر عنه الحاضرون بهذا التصفيق المتواصل ، ووفق أيما توفيق فى تصوير
« الخرطوم » وهي تتحرق للقاء الضيفين الكريمين .

محمود الفضلي : وقال الأستاذ محمود الفضلي إن منظّمي الحفل أَلَحُوا أن يستمع الحاضرون إلى شيء من شعر العباسي ، فألقى قصيدةً من مختاره تناسب ذلك المقام ، وأسبغ عليها الأستاذ محمود من إلقاءه الرائع ثوباً زادها روعةً على روعة . فماذا بقي إذا اجتمع شعر العباسي وإلقاء محمود ؟

شاعر العروبة : وقبّع الأستاذ الكبير الشيخ عبد الله عبد الرحمن شاعر العروبة في أروقة المؤتمر يعدّ قصيدةً ابتهاجاً بهذا الحفل . واعتذر لأنه لم تمكنه الظروف من إعداد شيء يتناسب وجلال الضيفين الكريمين . وأبت عليه نفسه أن يكرّم الناس شاعر القطرين فيتخلّف عن تكريمه . وألقى قصيدةً لم يتمكن من ربطها لضيق الوقت ، فلا غرابة إذا توقف عند الإلقاء بعض التوقف ، وإذا اضطر لبتز بعض هذا الشعر الجميل . ونرجو أن نوفّق في نشر تلك القصيدة العامرة بعد أن يتمّ تكوينها .

ختام : ثم جاء دور شاعر القطرين ، ذلك الشيخ الكبير ، فتقدم إلى المنصة وارتجل خطاباً عامراً نخلّى به صدر هذا العدد . وقد تمكّن من كتابته الأستاذ الطيب شبكية وكتب هذه السطور . وبقليل من المقارنة والمجهود ، استطاع أن يخرجها به كاملاً غير منقوص .

شكر وتقدير : وخرج ذلك الجمع الكريم شاكرًا لهيئة شيخ الأندية هذه الأُمسية النادرة لا الليلة الساهرة كما أرادها السكرتير أن تكون .

أما كلمة الأستاذ حسن عوض الله سكرتير النادي ، فقد نشرتها جريدة صوت السودان في عدد يوم ٣١ يناير ١٩٤٥ ، وهذا نصّها نقلاً عنها :

« إنها لأُمسية فريدة بين أمسيات هذا النادي المجيدة . هذه الأُمسية التي فزنا فيه بعلمين عظيمين . علم من أعلام البيان والاعجاز وعلم من أعلام الاقتصاد والانجاز . لقد عرف هذا الجيل في مطلعهِ مطران العظيم وأعجب بمعانيهِ في شعرهِ . ثم شبّ الجيل وكبرت في ذهنهِ معاني مطران وزادت في نفسه روعة شعرهِ روعة ، وتجلت له

عظمة بلائه في رفع لواء التجديد في الشعر . فقد استطاع مطران أن يزواج وحي لبنان الفحاء وضفاف النيل المشرقة الوضاءة ، زواج بين وحي الأرز وبين ما في مصر الخالدة من مادة ومن إلهام . مصر مهد التاريخ ومنشأ الحضارات حيث تجثم على ضفة النيل معابد الفراعين وهياكلهم ، حيث تعلو أبراج البيع والكنائس التي شادتها المسيحية المتسامحة منذ أطوارها الأولى ، وحيث تشرف المآذن وتقوم الحاريب شاهدة بعظمة الإسلام في ماضيه وحاضره . مصر التي تآخت تحت ظلالها الأديان وتفاعلت بين أحضانها الثقافات ، فتج عن هذا التفاعل روح النهضة المرتجاة للشرق الحديث بما وفر لها من مستلزمات أصيلة راسخة .

لقد كان مطران من إحدى إرهابات الجامعة العربية ومن حداتها الأولى . أولئك الحداة المخلصون الصادقون الذين لم تشب مرامهم شهوات السياسة وأهواؤها ، وما مسخت الأطماع في نفوسهم نبالة المقصد . لقد حدا قافلة الشرق يوم الشمل متفرق والعسف ممض والناس نيام يوم هتف :

أقول وقد أفاق الشرق ذعرا	من الحال الشبيهة بالمنام
بلادى لا يزال هواك منى	كما كان الهوى قبل الفظام
أقبل منك حيث رمى الأعادى	رغماً طاهراً دون الرغام
وأفدى كل جلمود فتيت	وهى بقنابل القوم اللثام
لحى الله المطامع حيث حلت	فتلك أشد آفات السلام

أجل أيها الضيف الكريم ، لقد كنت حقاً وسيط العقد في ذاك النظام ، نظام الشرق المرموق .

ندبت له وجراك اعتداد	بأقدار الدعاة على القيام
وبين الشام كنت وبين مصر	وسيط العقد في ذاك النظام

كنت وسيط العقد لا عن زهو نفس ، ولا عن هوى أو مطمع ، ولكن عن ولاء أكيد وعن رعى وثيق للذمام .

أو رأيت اليوم من تمام الذمام أن تهبط على الوادى لتتم رسالة شاعر القطرين ؟

لقد أدت شطر رسالتك في أسفل الوادى أجمل أداء . وها أنت اليوم قد حلقت في أعلاه ، وشخصت نحوك أبصارنا ، فهل أنت محقق رجاءنا ومتمم رسالتك بما تحمل من رسالتنا نحو الشرق ؟ وليس أبلغ عندي ولا أصدق تعبيراً عن هذه الرسالة مما جاء في خطاب رئيس مؤتمرنا العتيد إذ يقول : الدم العربي واللسان العربي وشيختان لا انقسام لهما لربط السودان بالجموعة العربية . والشرق العربي يتجمع اليوم ليتحد لنيل حريته وتركيز نهضته على أساس التعاون المشترك . ولقد خفق قلب السودان لحادث لبنان ، وانهمرت دموعه لفلسطين من قبل لبنان ، ورابطته بمصر رابطة طبيعية لازمة . وفي السودان رنة سرور في فرح الشرق ، ودموع في أحزانه . ولكننا نجد العرب في غير مصر لا يذكرهم السودان ولا يعرفونه . فهل يؤدي عنا الضيف الكريم ان قطعاً عربياً يبلغ عدد سكانه ضعف سكان العراق وثلاثة أضعاف سوريا ولبنان وخمسة أضعاف فلسطين لا يمكن أن يولّى ظهره شطر الشرق ليتجه نحو يوغندا وتنجانيقا والكاب . ولكن هذا القطر الناشئ يأبى إلا أن يتشبث بالأصول التي انحدر منها ، ويأبى إلا أن ينساب تفكيره وشعوره مع انسياب النيل نحو الشمال .

وانت يا ابن النيل ، يارجل الاقتصاد والانجاز ، لقد عرفنا طول باعك في تدعيم صرح الاستقلال الاقتصادي في وادى النيل ، ودأبك في صمت بليغ في رسم الخطط ومشاريع العمران ، واستثمار ثروة النيل الخصب ، والاشراف الدقيق على الانجاز . لم يبهرك ضجيج السياسة ، ولم يشقك بهرج الشهرة والاعلان . بل أردت أن تترك أعمالك تتحدث ، وعلمت انها ستظل تتحدث وتنبع وتزهر وتؤتي ثمراتها يوم تتلاشى الضوضاء السياسية ، وتحفت أصداء الشهرة الزائفة ، ويزول الاعلان الكدوب .

لقد استبشرنا ببعثتكم الأولى وترقبنا ، وترقبنا ، ونخشى أن يطول الانتظار . وليس من شك في ان الوادى جميعه يكون وحدة اقتصادية . وليس من شك في انك قد رميت ببصرك فرأيت جذباً حيث يجب أن يكون خصباً ، ورأيت متربة ومسغبة حيث يمشى الناس على أرض من الذهب .

ونحن أبناء الجيل الجديد لا نعذر ، والتاريخ لا يغفل تقصير الشقيق الأقوى

المتأهب الذي تتوفر لديه أدوات العمل لتجديد الديباكتين وتشبيد الخراب في منزل أخيه الشقيق . ان إيماننا بحقنا قوي راسخ لا يتزعزع . ولن نعذر نحن أبناء الجيل الحديث لن نعذر لأنفسنا ولا لأشقائنا في مصر مظاهر التردد والغفلة والامهال . ولو اتحدت منا العزائم ، لأزلنا من الطريق أوعاره وأوضاره ، وحينئذ نكون جديرين بنعمة النيل وبشرف الانتساب إلى النيل :

عار على ابن النيل سباق الورى مهما تقلب دهره أن يسبقا
سادتي

إن هذا الندى هو مركز البعث في البلاد ومنه ترفع أعلام الجهاد . فمن حرمه تطل منارة المؤتمر الهادية تسكب الضوء في طريق الجيل الجديد المتطلع إلى مراقى التحرر والنور .

إن هذا النادى، وله زعامة أندية الخريجين المنتشرة في أطراف البلاد، ليمثل السودان الحديث أصدق تمثيل. ولم يعد عبد القوى (باشا) أحمد الحقيقة يوم حظي النادى بزيارة (صاحب المقام الرفيع) على ماهر (باشا) ويوم نال شرف عضوية (رفعته) الفخرية وعضوية زميليه عبد القوى أحمد (باشا) وصالح حزب (باشا) ... لم يعد عبد القوى يوم ذاك الحقيقة حين قال :

« إن الذى لم يزر هذا النادى لا يعتبر قد عرف السودان »

فهو إذ يحتفل اليوم بالضيفين الكريمين ، إنما يقدم لهما تحية السودان بأجمعه، ويبلغهما رسالة الجيل الجديد. ونسأل الله العلي القدير أن يوفقنا جميعاً للنهضة بوادى النيل السعيد . وهذه قصيدة الاستاذ عبد الرحمن شوقي فى تحية شاعر القطرين ، وقد نشرتها جريدة « صوت السودان » فى عدد ٣ فبراير ١٩٤٥ :

حر القوافى تجىء طوعاً ولا عجباً علّ القوافى تؤدى بعض ما وجبا
صغها عقوداً لهذا اليوم من درر وحيّ فيها العلا والعلم والأدبا
فالיום عيد لهذا القطر أجمعه هنيء به الشرق والسودان والعربا

اليوم عيد لنا غنت بلابله
فانشد نشيد الأمانى رُب قافلة
حلقت مع الفلك الدوار فى فلك
وانظر بعينيك ما خط القضاء به
فذاك عمرى وراء الحجب مستتر
واهبط الى الأرض خبرنا بما سمعت
وانثر على الوادى من علم ومن أدب
حدثه كيف سمعت أرواحنا زمنا
وكيف كانت لنا الايام طائفة
حدث بنى النيل عن بغداد عن كتب
سالت دماء بنى العباس بينهما
بغداد كانت منارا للعلوم فما
لا تشرق الشمس الا فى مقاصرها
وصف لنا كيف دالت وامّحت دول
وما دهى الشرق فى أبنائه قاطبة
قد أثقلتنا قيود لا نهوض بها
أعد على مسمعي ذكر الألى سلفوا
ورُب ذكرى سرت فى جسم سامعها
فأنت كالوحي لم تهبط على بلد
كمحكم الآي والتنزيل جئت به
فيا أمير القوافى رب مملكة
ورب قول جرى من فيك حزت به
فما حدا الحادى إلا من قصائدكم

فى الروض حتى شدت أعواده طربا
قد أبطأت فى السرى تشدو به حقبا
وزح ان اسطعت عن اسراره حجبا
فى اللوح واقرا لنا مافيه قد كتبنا
عليه سور من الأنوار قد ضربنا
أذنك إن لنا فى سمعه اربا
فإن ذا الشعب يهوى العلم والادبا
وكيف كنا على رغم العدى العربا
كما نشاء فهل تهمل لنا طلبا
عن الأمان عن المأمون إذ غضبا
الملك أسمى وأغلى من دم سكبا
للعلم من طالب إلا لها طلبا
وليس يغرب عنها البدر ما غربا
وكيف جيش حماة الشرق قد غلبا
فأصبح الرأس من أبنائه ذنبا
وان يكن فيّها قد صاغها ذهبيا
فرُب ذكرى تحت فيما تحت كربا
ردت به الروح فيه بعدما ذهبيا
إلا رأينا به الآيات والعجبا
وقد ملأت به الأسفار والكتبا
أثار قولك فيها جيشها اللجبا
فى عالم الشعر دون العالم القصبا
ولا شدا بلبل إلا بها طربا

ولا تغنى فتي في الشرق قافية إلا وشعرك ما أوحى وما كتبنا
لو كنت في الوادي ذا مال أقمت لكم تمثال در ولم أرض به ذهبنا
وقلت للناس طوفوا حوله أبدا مثل الحجيح فهذا كعبة الأدبا
فارجع الى مصر في أمن وعافية وزر دمشق وزر بغداد زر حلبا
وصف لهم ما رأت عينك في بلد بنوه ليس لهم إلا العلا طلبا
فإن أصاخوا لما تمليه واستمعوا فاخبرهم عن بني السودان خير نبأ
وقل لهم إننا لما نزل هدفنا لكل رام ومن قد لام أو عتبا
لا نعرف النوم الا خلصة غضبا والحر ان مسه ما ساء غضبا
لنا اليهم حنين دائم وهوى مهما نداريه عن عدالنا غلبا
فهم لنا اخوة بل هم أشقتنا ومصر لما نزل أمّا لنا وأبّا
الشرق يجمعنا والنيل يربطنا كوحدة جمعت ما بينها العربا

وفي ما يلي كلمة خليل مطران في شكر المحتفين وتحية السودان ، وقد نشرت في
جريدة « صوت السودان » في عددها الصادر بتاريخ ٣٠ يناير ١٩٤٥ :

« حيا الله أم درمان ومن بأم درمان ، حيا الله هذه القلوب الكبيرة التي تزهرا
هذا المساء . نحياها بالإجلال والإكبار ، ونستلهمها كما يستلهم العاشق المشوق وجه
المحبة المحببة .

نادى الخريجين ، نادى الشباب ما أعجبه ! وهو يحمل اسم شيخ الأندية أو أقدم
الأندية . ألقى علي وعلى أمثالي من الشيوخ — والذين في سنى هنا قليل ، وأرجو
لكل طول العمر — ألقى علينا درساً استفدت منه كثيراً مما لم أكن أفدته من قبل .

يا اخواني اذا خلصت النيات وصدقت العزائم واتجهت القلوب اتجاهاً يؤيده
الايان ، فابشروا بخير كثير . ان الأمم تحيا ، ان الأمم تنهض ، ان الامم تصبح ماتريد
أن تكونه في هذه الدنيا بفضل العزائم التي يقدمها هؤلاء الفتيان ، وبفضل الاخلاق الكريمة
التي يجعلونها في خدمتها .

أقول أولاً عن صديقي الكبير الدكتور يوسف (بك) نحاس إنه لما قدم السودان قبلى واتصل بأهله وأحبهم ذلك الحب العظيم الذي رأيته يزايد ويتضاعف العام بعد العام، ليسعد كما أسعد أنا بأن نرى علامات الحياة تدب وتبشّر بأن هذه الأمة التي نحب جميعاً خدمتها تسير في سبيل الوصول إلى الغاية المجيدة التي تتمناها لها .

وإن كان في أيامي بقية ، واستطعت أن أعمل شيئاً للعوض عما طوقتموني به من جميل، فإنني لأرجو أن أقابل هذا الجميل العظيم المتكرر في كل مساء وفي كل يوم منذ وطئت أقدامنا هذه الأرض الطاهرة ... أرجو أن أقابل هذا الجميل، وأن أجعل ذلك العوض يكافئ بعض الشيء هذا الصنيع العظيم .

وأسأله تعالى أن يجعلني أستطيع أن اكتب شيئاً في مستوى هؤلاء الشعراء الفحول من كبار وشباب . فقد طوقونا بآيات بيانهم ، وأتحفونا بكل شيء جميل يمثله كل ما سمعته هذا المساء .

فهل أستطيع أن أقابل جميلهم بمثله ؟ أسأل الله أن ييسر لي للقيام بالواجب .

نحن بكل قلوبنا نريد السودان أن يكون في المستوى الراقى المعادل للمستوى الراقى في سائر الأمم الشرقية العربية ، ناهضاً علماً وفناً وأدباً واقتصاداً ، ومتخذاً لرقبته هذا كل الوسائل التي اتخذتها الأمم الاخرى من قبل .

نحن نريد ألاّ يطول ذلك الأمد حتى نكون جميعاً في مستوى واحد ، وأن نوفق إلى اعطاء صورة تشرح الخصائص التي ميّزنا بها ، مضافة إلى الفضائل العامة التي تجمع أبناء العروبة في كل مكان .

أنا آسف لأنني لا أستطيع أن أطيل القول وأنا ضعيف عاجز .

كنت أود أن أشارككم في بعض المعاني التي ذكرتموها، ولكنني أخاف أن يحول عجزى دون أداء الواجب ويمتد الوقت دون جدوى ، ولعل الله أن ييسر لي لأكون عند حسن ظنكم بي .

إن أخى نحاس قد قام بواجبه ، أما أنا فأرجو أن أعمل بطريقي الكلامية — التي

أثقتموها ، وأبدى فيها شعراؤكم وسكرتير نادىكم فى النظم والنثر عجباً — أرجو بهذه الطريقة العملية أن أكون ممن يسر له الله أن يقوم بهذا الواجب الذى ألقى على عاتقى وأنا على ضعفى أنوء به . فأسأل الله لكم التوفيق ، ولهذا الندى الازدهار ، وأشكركم على هذه الدعوة التى جاءت بعد زورتنا « ملجأ القرش » ، فقد فرحنا بهذه المبرة العظيمة ، ووجدنا فيها الزواة الطيبة خير كبير مرتقب .

وهاهنا وجدنا أثراً لنهضة السودان ، فحيا الله السودان وحيا أبناءه ورجاله الكرام ، ودمتم فى طول صفاء وسلام .

فى النادى النوبى

وأقام « النادى النوبى » حفلة فى مساء الأربعاء ٧ فبراير ١٩٤٥ فى داره بالخرطوم ألقى فيها الأستاذ محمد توفيق الكلمة التالية نيابة عن الأستاذ محمد نور الدين رئيس النادى :

« أحيى (صاحبى العزة) تحية طيبة صادقة ، وأشكر لكم يا حضرات السادة مشاركتكم لنا هذا الحفل الذى نقيمته تكريماً لضييفين كريمين كانا طيلة إقامتهما مدعاة لغبطة القطر ، ومبعث بهجة العاصمة ، ومثار حديث الصحف والأندية .

لما عهد إلى الأستاذ محمد نور الدين رئيس النادى النوبى بهذا الواجب العذب ، واجب التحدث إليكم والترحيب بكم باسم هذا الندى ، ترددت وترددت ، وذلك لأن الذى يتحدث عن (صاحبى العزة) والذى يتحدث عن مكانتهما فى عالمى الأدب والاقتصاد يجب أن يكون أديباً صادقاً ملمّاً بعلم الاقتصاد حتى يعرف كيف يوفى الضييفين حقهما . لذلك ترددت وأقبلت على نفسى أسألهما : لماذا آثرنى الرئيس بهذا الواجب ؟ وكلما استصعبت وتعذرت على الإجابة ، كنت أزيدها كذلك إلحاحاً حتى طاوعتنى هى الأخرى ، وكان الجواب الذى اطمأنت إليه نفسى واستراح له فكرى ان العادة قد جرت على انه إذا تأهبت مواكب الجيش ، تقدم الأحداثون ، فالذين من

فوقهم درجة ، وهكذا وهكذا حتى يخلص آخر صفٍ للقادة العظماء . وعلى هذا الاعتبار تقدمت للكلام ، ولكن ماذا أقول ؟

كلكم يعرف (صاحب العزة) يوسف (بك) نحاس كعلم من أعلام الاقتصاد وشخصية من شخصيات تلك الزيارة الميمونة التي كانت ولا تزال مصدر الخير والبركة للقطرين بما كان لها من الفضل الأعظم في إعادة الروح والقوة لأواصر القرى بعد أن اعتورها الضعف والهزال ، وتوشيح علائق الاتصال بعد أن ظلت مقطوعة مدة من الزمان زاد خلالها شوق الشقيق للقاء الشقيق ، واضطرم إبانها حنين الحبيب للقاء الحبيب . فقد ذاق كل منهما ألم البعد ، وناء كلاهما تحت مشقة الحرمان ، فازداد شعورهما ويقينهما بأنهما إنما يكونان جسماً واحداً ، وأنه لا حياة ولا بقاء لجزء دون الآخر .

لقد والى (حضرة صاحب العزة) نحاس (بك) زيارته للسودان منذ ذلك الحين ، وفي هذا لدليل قاطع على مقدار تعلقه به ومحبته له ولأهله . ولا غرابة في ذلك ، يا حضرات السادة ، وهو رجل الاقتصاد . . . رجل الانشاء والعمل ، ورجل التدبير والخططة . وهو من الرجال الذين يعملون لاستغلال هذا الشرق بقوة الثروة وكثرة الانتاج ، ويربطون الدول الشرقية برباط المصلحة وعلى أساس المنفعة ، زيادة على الروابط الفكرية والروحية .

أما (صاحب العزة) خليل (بك) مطران ، ذلكم الشاعر الفحل ، فليس في السودان الحديث من يجهل كفاحه في عالم الشعر والأدب . فقد حدا بقيشارته السحرية إلى الوثام والاتحاد بين أمم الشرق ، ورعى ذمام العروبة ، وأفاء بظله الظليل على السودان فتعشّقنا أدبه وروينا قصائده ، وأدب مطران وأمثاله هو الذي وصل القلوب العربية برباط مقدس خالد .

لو لم يكن الضيفان الكريمان شخصيتين بارزتين في عالم الأدب والاقتصاد ، لكفاهما فخراً أن يكونا في الأصل من تلك الأمة التي قال عنها حافظ في شاميته :

عافوا المذلة في الدنيا فعندهم عزّ الحياة وعزّ الموت سيّان
لا يصبرون على ضمير يحاوله باغ من الإنس أو طاغ من الجان

يا حضرات السادة . إني لأرى من الوفاء لهذا الندى أن أنهز هذه الفرصة المباركة لأففى لكم بعض من رسالته .

فكلما تحدثنا عن وحدة الوادى ، ذكرنا النيل والدين واللغة ، متناسين أن النيل والدين واللغة إنما تربطنا ببلاد وأقطار أخرى . تناسينا ذلك ، ونسينا أن هنالك صلة قوية تربط شطرى الوادى ربطاً قوياً لا انفصام له ، والنوبيون هم تلك الصلة وذلك الرباط .

فكلكم يعلم أن السياسة قد قضت بشر النوبيين شطرين ، جزء هنالك فى أسفل الوادى ، ولد وترعرع وتعلم هنالك ، لهم ما لآخوانهم هناك من حقوق ، وعليهم ما عليهم من واجبات . وجزء فى أعلى الوادى ، لهم ما لآخوانهم وعليهم ما عليهم . وقد قضت السياسة أيضاً أن تختلف الحقوق والواجبات ، ولكننا ننسى أن هناك صلة قوية تربط بينهم وهى صلة القرابة ، صلة الدم . وإن فرقتم مقتضيات السياسة اليوم ، فإن نداء الدم أقوى وأبقى .

هؤلاء النوبيون قد جثموا منذ الأزل فى المنطقة الوسطى من وادى النيل ، وقد اختارهم الله — لحفاظهم على العهد ولجبة الوفاء ورباطة الجأش والعزم — أن يكونوا الحلقة القوية والرباط المقدس الذى يربط شطرى الوادى .

وان النوبيين ليسعرون بعظم هذه الرسالة التى اختارهم الله لأدائها ، ولذلك ظلوا مرابطين فى مكانهم رغم تقلبات الظروف ، ورغم الحن والمصائب التى تنزل بهم .

لقد طغى خزان أسوان على أراضيهم ، واكتسح موارد الرزق فيها ، بل اكتسح تراث الآباء والآجداد ، وجار فمحا آثار قبورهم . ومع كل ذلك ظلوا مرابطين لأداء رسالتهم ، وذلك لعلمهم بأن خزان أسوان إن جار عليهم فما كان ذلك إلا لمصلحة مصر ولنماء الزرع والضرع فى أرض الكنانة .

فى سبيل مصر ما لقي النوبيون ، وفى سبيل بقاء وادى النيل وحدة لا تتجزأ يهود النوبيون بأنفسهم ، ويضحون بكل نفيس .

ولا يفوتنى أن أقول إن هذا الندى يشارك الأندية الأخرى ما تضطلع به من

أعباء . وما أحوج البلاد لمثل هذه الأندية التي تتعاون بعزم صادق ورغبة أكيدة لتحقيق المصلحة العامة للبلاد .

ويشرفني أن أغتم هذه الفرصة ، فأكيل الثناء لضيفينا الكريمين أولاً ، وأتقدم إليهما بهذا الرجاء الحار ثانياً ، وهو أن يقوموا بالدعوة لزيارة هذا السودان . فبمثل هذه الزيارات تتعارف وتتكاتف وتتحد . كما أرجو أن يبلغا عنا لآخواننا كل تقدير وإعجاب ، وأن يعبراً عن حال لساننا الذي يقول :

تعالوا نجدد دارس العهد بيننا كلانا على هذا الجفاء ملوم .

وألقى الأستاذ الطيب مجذوب سكرتير « نادي العمال » بأم درمان الكلمة التالية في نفس الحفلة :

« إن أسعد ساعة تمر على المرء في حياته هي الساعة التي يشعر فيها بأن الظروف قد مكنته من القيام بأداء بعض ما عليه من الواجب المقدس نحو ألباء قومه وعظماء أمته .

يا حضرات السادة . يقيم بين ظهرانينا في هذه الايام رجلان هما من خيرة رجالات الشرق العربي ، أحدهما قطب من أقطاب النهضة الاقتصادية الحديثة ، والثاني لسان من ألسنة العروبة المعبرة عن آلامها وآمالها .

ولئن وقفت بينكم في هذا الحفل البهيج معبراً عما يحيش بنفسي من أحاسيس شتى ، فلستم ترونني في كلامي محاولاً الاتجاه إلى ناحية من نواحي التعريف بهذين الضيفين الكريمين ، فهما غنيان عن كل محاولة من هذا النوع بما لهما من الشهرة الواسعة والمكانة الموقوة في العالم العربي أجمعه .

ولكني أريد أن أعبر عما أجده من غبطة وعما أحسّه من سرور يتضاعف كلما أفكر في نتيجة اهتمام مثل هذين الزائرين العظميين بزيارة وطننا السودان ، وما تجنيه

هذه الأمة الفتيّة الناهضة من ثمار مثل هذه الزيارة في نهضتها الأدبية والاجتماعية والاقتصادية .

يا أبناء الأمّ ، ويا أحفاد العروبة ، ويا خلائف الصيد الأماجد . إن قلوب هذا الشعب لمفعمة سروراً ، وإن نفوسهم لتفيض غبطة وجوراً ، وما هذا الحفل وأمثاله إلاّ حركة مبعثها تقدير أبناء هذا القطر لشخصيكما ومظهر من مظاهر خلجات نفوسهم المستترة خلف هذه البشاشة التي تواجهون بها في كل منزل وندى ، وكل ذلك جهد المقلّ .

إنني باعتباري عاملاً ممثلاً لإخواني من أعضاء نادي العمال بأم درمان ، قد لبّيت دعوة إخواننا أعضاء هذا النادي الشقيق لحضور الاحتفال بتكريم ضيفينا المحترمين .
فأنا أتقدم باسم نادي العمال الذي أمثله ، وهو النادي الناشئ الذي يضم الآن بين جوانبه أكبر مجموعة من هذه الفئة الناهضة التي بدأت تحس بوجودها وتشعر أن لها في الحياة كما عليها واجبات .

أتقدم باسم هذا النادي شاكراً لحضرات رئيس وأعضاء « النادي النوبي » تفضلهم بتوجيه الدعوة إلينا لحضور هذا الحفل وشهود هذا الاجتماع الرفيع .
وختاماً يا شاعر القطرين :

لا تنكرن وإن أهديت نحوك من علومك الغرّ أو آدابك النثفًا
فقيّم الباع قد يهدى لمالكه برسم خدمته من باعه التحفا

في نادي وادي حلفا

وأقام « نادي وادي حلفا » حفلة في يوم ٢٢ فبراير ١٩٤٥ ألقى فيها سكرتيره الأستاذ محمد حسني أحمد الكلمة التالية :

« انه لمن حسن الطالع ، وانه لتوفيق من عند الله أن تتوّج دورة نادينا هذا العام ، وأن تكون عزّة أعمالنا فيه الابتهاج بعيد زيارة قطبي الادب والاقتصاد (حضرة صاحب

العزة) خليل (بك) مطران شاعر القطرين الذي خلق ثروة من الأدب الرفيع مما سيحفظه التاريخ بين صفحاته المجيدة ما بقي التاريخ ، ليكون مناراً يهتدى به الأدباء ومورداً ينهل منه الشعراء على تعاقب الأجيال ، (وحضرة صاحب العزة) الدكتور، يوسف (بك) نحاس أحد دعائم الاقتصاد بالقطر الشقيق ومن ذوي الفضل في بناء صرح نهضته الاقتصادية وواضعي الخطط والمشروعات التي ستضمن حتماً مستقبل البلاد في هذه الناحية .

سادتي ، كان الغرض من وقفتي هذه أن أقول نيابةً عن زملائي أعضاء النادي كلمة الشكر والترحاب . وليس الغرض أن أكون أحد خطباء هذا الحفل . وسأعتمد مضطراً إلى الإيجاز والاختصار في موقف لا يفي فيه إلا طنباب بالمطلوب ، وذلك أمر عسير ، ولكنني سأحاوله جهد الطاقة . وليس هذا زهداً في التمتع بالحديث إليكم ، أو غنى عن شرف المثل أمامكم . كلا ، بل هذا مما تتوق له النفوس ، ويستبق إليه الناس ويتنافسون فيه المتنافسون . ولكن لا أريد أن أكون أنانياً فأستأثر بالشرف ، ولا أكون جائراً فأحرم سادتي الحاضرين من التمتع بالاستماع إلى ضيفينا الكريمين والسمير معهما أكبر وقت ميسور .

ولكن ما هذا الوحي القوي الذي يدفعني دفعاً ، وما هذا الاحساس العميق الذي يضطرنني اضطراراً للاسترسال في الحديث رغم إرادتي ! إنه وحي مستمد من شخصي المحتفل بهما ، وإحساس بالفضل الذي يطوقنا به من وقت لآخر إخواننا رجال الكنانة بتكرار الزيارة لنا لتفقد أحوالنا وتعرف ما وصلنا إليه من التقدم والنهوض . فجزاهم الله عنا خير الجزاء .

سادتي . ان هذه الزيارات لمن أقوى دعائم الارتباط ، وأمتن وشائج الاتحاد ، وأبقى حلقات الاتصال . ليس بين القطرين المتجاورين فحسب ، بل بين جميع بلاد الشرق العربي . وأكرم بذلك من هدف سام وغرض نبيل يحلو في سبيلهما لقاء المصائب ، ويسهل من أجلهما تخطي العوائق . وهذا سر تدفق أبناء هذا البلد الى الأقطار العربية

المجاورة . فوجهتنا دائماً وفي جميع الأزمان إلى الشمال . ولا غرو ، ففي الشمال مصر الشقيقة الوفية ، وفي الشمال الوحدة العربية العظيمة ، وفي الشمال المدنية الحديثة النامية . إذن فإن يمنا وجهة أخرى فهو تقهقر نأباه ، ونكوص لا نرضاه ، وجود قد نبذناه .

والآن يا سادة . أرى أن زملائي يرمقونني بنظرات الشك في البر بوعدي بالإنجاز والاختصار ، ولا سيما خطباء الحفل . فلا أبر اذن بوعدي ، غير أن لي ملاحظتين أبعدهما : أولاهما هي أننا دائماً بحكم موقع مدينتنا تتحمل نيابة عن باقي القطر مرارة الرحيل والفراق . ولكن لا بأس ، سنظفر دائماً بأول الترحيب والتلاق . والثانية هي أن هذا الحفل حفل استقبال ووداع في آن واحد ، وذلك لضيق ظرف المحتفل بهما وإلحاح مشاغلها .

فأهلاً وسهلاً ومرحباً ، وعلى الطائر الميمون وفي رعاية الله . وأختم كلمتي بتقديم وافر الشكر وعظيم الامتنان نيابة عن زملائي أعضاء النادي (لحضرتي صاحبي العزة) المحتفل بهما لتنازلهما بقبول الدعوة ، ولضيوفنا من رجال الجاليات وجميع اخواننا الذين شاركونا بتلبية الدعوة .

* * *

وفي نفس الحفل أنشد الدكتور محمد رياض المفتش البيطري ومندوب الحكومة المصرية بوادي حلفا القصيدة التالية :

شاعر الأقطار لا القطرين بل	شاعر الدنيا وقطب المشرقين
ينفض الشعر الى استقبالكم	أين قطر الغيث من بحرك أين
لك في أعناقنا دين النهى	وهو ما تعلم دين أي دين
ان تف الدنيا لكم حقاً فقد	نلت من قبل وفاء الامتين

* * *

دولتان : الشعر والمال معاً يا لركب فيه كلتا الدولتين
زرقما السودان قطبين فهما عبر النيل تراءى كاللجين

* * *

كلّ ايجاز واطنابٍ نهى فاعذرا قصدي لإحدى الحسينين
وابلغا مصر على متن الضحى كوكبي سعد وبن سالمين

وألقى الأستاذ أبو القاسم محمد بدري رئيس الجمعية الأدبية « لنادي وادي حلفا »
الكلمة التالية في نفس الحفل :

« أحبيكم أفضل تحية وسلام ، أحبيكم تحية ملؤها الحب والاخلاص والوفاء . أريد
أن أتحدث إليكم نيابة عن اخواني أعضاء النادي حديثاً مبعثه الغبطة والانشراح ، ومصدره
النشوة بقاء الأرواح للأرواح .

لقد ابتهجت حلفا عروس النخيل بل كل مدن النيل بمقدم الشقيقتين ، (صاحبي
العزة) يوسف (بك) نحاس ألمع الاقتصاد وقطب الأعمال و خليل (بك) مطران
خزنيذ الشعراء وكبير الأدباء . ابتهج القطر كله وبلدتنا ابتهاجاً غمر كل شخص ، وانطبع
في قرارة كل نفس انطباعاً لا يمحي من الازهار ، لأنه أبقى على الايام من الايام .

إننا نعرف الامصار العربية ، أيها السادة الكرام ، معرفة مصدرها تقويم البلدان ،
معرفة تستند إلى السماع والقراءة ، وليس الخبر كالعيان . لأننا نهمل ما يتفجر من
عواطف الإخوان ، وما يتدفق من شعورهم الحار وشغفهم القوي القوار إلى المعرفة
والاخاء والاخلاص والوفاء . وسبب ذلك راجع إلى بُعد المكان وشواغل الزمان ،
حتى أصبح ما بيننا من صلات قديمة في طي النسيان إلى أن قيض الله لفيقاً من أبناء
العروبة الأجداد يسعون لربط الماضي بالحاضر ، وبناء طارف الجديد على تالد القديم ،
وفقههم الله لما يعملون ، وكلل مساعيهم بالنجاح العظيم .

لا ريب أن الوحدة العربية ، التي هي لكل منا أصدق أمنية ، على وشك
التحقيق بإذن الله بين كل الاقطار ، ولكنها لا تثمر ثمرتها اليانعة وتؤتي أكلها في
كل حين سائغاً لذيذاً إلا إذا كانت دعامتها الصلات عن طريق الزيارات .

إن الضيفين الكريمين ، يا سادة ، قد ساهما بأ كبر نصيب في توثيق وشائج الرّحم وأواصر القرّبي بين البلاد العربية . دعوني أقول : لن تكون بعد اليوم ، إن شاء الله ، فواصل تحول بين المعاشرة والمصادقة ، ولن تصبح بعد الوحدة سوريا ولبنان ومصر والسودان . . . كل هذه مسمّيات مختلفة لقطر واحد . إن وطننا هو العروبة ، ولعتنا هي العربية ، وأجناسنا هي المودة القلبية ، والألفة الروحية .

يا (صاحب العزة)

لقد شغلني كلام الوحدة الحلو الرقيق عن إيفاء الشقيق حق الشقيق . ولو أن الحديث عنهما فضلةٌ ، كما يقول رجال اللغة والأدب ، لأن كليهما أشهر من أن يشهر ، ولكن بياني شرحٌ وإيضاح وترديد ، والترديد عذبٌ ومباح .

إن (صاحب العزة) يوسف (بك) ، أيها السادة ، رجل اقتصاد وكفاح ، جعل وكده المتواصل تدعيم النهضة الاقتصادية في البلدان العربية على أسس قوية من الروابط الفكرية والشائج القلبية .

لقد خلّد ضيفنا الكريم اسمه في سجل الخالدين مع صحبه رواد البعثة المصرية عام ١٩٣٥ ، تلك البعثة المباركة التي رأبت صدع الشمل بعد الشتات ، وأحيت ما اندثر من العلاقات ، وأمرعت بالخصب الأرض الموات ، لأنها وثّقت صلة التجارة بين القطرين ، ونجّمت عن هذه الصلة المحموده صلاتٌ وصلات في كافة النواحي ، من اقتصادية وثقافية واجتماعية وما إليها .

لم يقصر مجهوده على جمع المال لنفسه وأسرته فحسب ، بل عمل على استثماره وإفادة إخوانه ونفع أسرة الوطن العربيّ كله . ويتجلّى ذلك في كثرة زيارته لهذا القطر ، وتفكيره في استغلال خيراته . وفّق الله لتحقيق ما يريد من إنشاء المؤسسات وربط البلاد العربية بأمتن الصداقات . إنه يعمل جاهداً لبناء نهضة اقتصادية عربية تؤسس على صرح لا تزعزع الأهواء ، وتلعب به أيدي الخفاء . وكيف يدكُ صرحٌ قوامه الإخلاص ، ودعائه المحبة وأسس الصداقة والوفاء . سرّ على بركة الله يا هادي

الطريق ويا قائد القافلة مظفراً منصوراً . أمدّ الله في عمرك وأعانك على عملك .

سادتي ،

أما (صاحب العزة) خليل (بك) مطران ، فهو شاعر الأقطار ، وشعره ينهضُ دليلاً
ساطعاً وحجّة ناطقة بما يزخر من معانٍ سامية وأغراضٍ جليلة ترمي الى تقوية الروابط
الفكرية والروحية بين البلدان العربية . أليس هو القائل في تحية الشام لمصر :

الى مصر أذفّ عن الشّام	تحيات الكرام الى الكرام
نُذبت لها وجرّأني اعتدادي	بأقدار الدعاة على القيام
فحبّاً أيها الوطنان ! إني	وسيط العقد في هذا النظام
وسيط العقد، لا عن زهو نفسٍ	أقل الرأي يلزمني مقامى
ولكن عن ولاءٍ بي أكيدٍ	وعن رعى وثيقٍ للذّمّام

فأنت أيها الشاعر الكبير ، كما قلت ، ولا تزال وسيط العقد بين مصر والشام ، ثم
بينهما وبين السودان وسائر أقطار العروبة . وإنك أيضاً كنت ولا تزال نصيراً للتآلف
والتعارف ، يُعينك على ذلك خلق عظيم ورأي راجح ونفس صافية ينطبع عليها كل
ما يمر بها ، بفضل ما حبها الله من رقة المشاعر ودقة الإحساس .

أنت ، ولا ريب ، ثالث ثلاثة من الشعراء والأقطاب الذين كرسوا حياتهم
ووقفوا جهودهم على انهاض العروبة ، وحفظ تراثها الخالد بإيمانه وإعلانه . إن لكم
أثراً وأي أثر في جزالة المعنى ونخامة المبنى وبراعة الابتكار والتجديد وحسن الاقتباس
من الأجانب بما لا يشين لغة الأعراب .

عرفتم كيف تستفيدون من لغاتهم دون تقليد ، وتنهجون نهج آبائكم العرب دون
تقييد . فكانت لذلك صفحاتكم في الأدب من أنصع الصفحات ، ونهضتكم في الثقافة
من أرسخ النهضات .

أعانك الله يا أديب الشرق وشاعر العروبة بعمرٍ مديد لتستمر في كفاحك بعد
أخويك ، وتُعلي كلمة العروبة ، وترفع مكانة الشرقيين . «

مطرا نيات

ولست أريد أن أختتم فصول هذا الكتاب دون أن أتحف القراء بنفحات من أدب صديقي الراحل العظيم الأستاذ خليل مطران ، الذي أكرمني الله بصداقته وحباني بمودته فكنت أكثر من شقيقين ، والفضل في ذلك معزوني إلى الشبائل الغر التي تحلّى بها مطران فجملت مودته ، وجعلت الناس يقبلون على خطب وده .

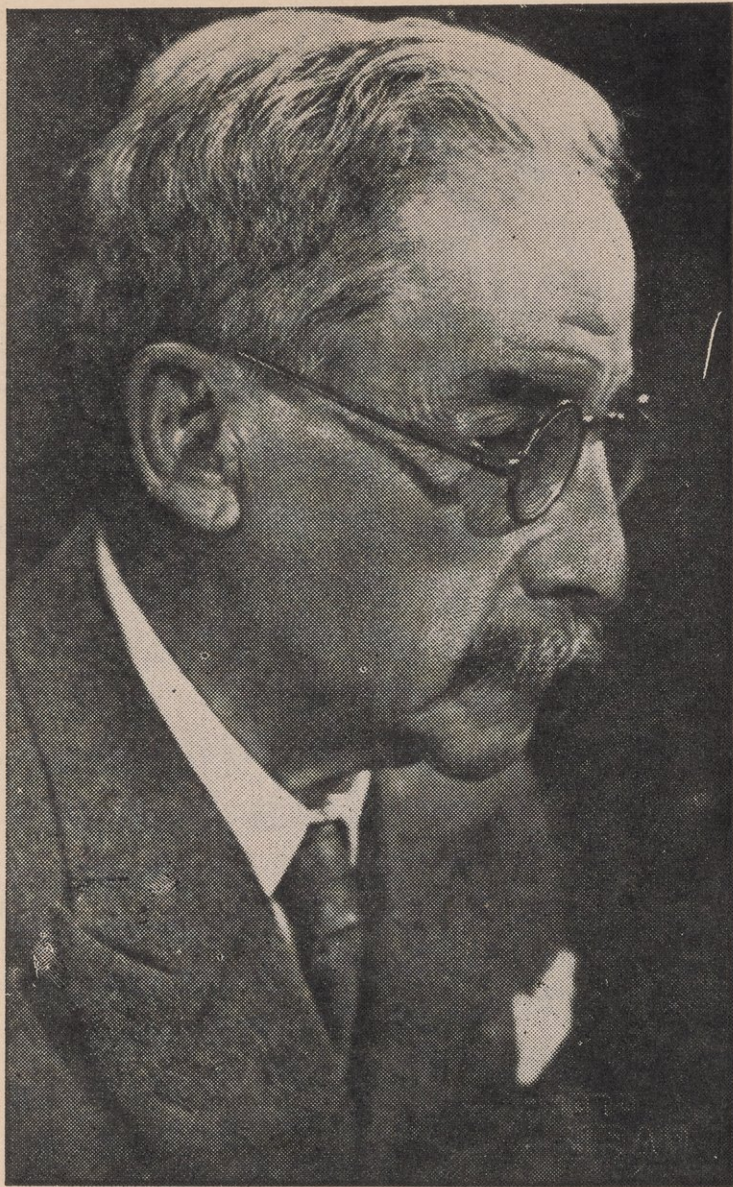
كنا في حلقة تنأهب للسفر إلى مصر عائدين من رحلة السودان ، فتلقينا تحية شعرية بالتلغراف من الأستاذ محمد نور الدين رئيس « النادي النوبي » مطلعها :

إذا ودعتكم فبكل قلبٍ من السودان يشتعل اشتعلا
فرد عليه مطران ببرقية أخرى قال فيها :

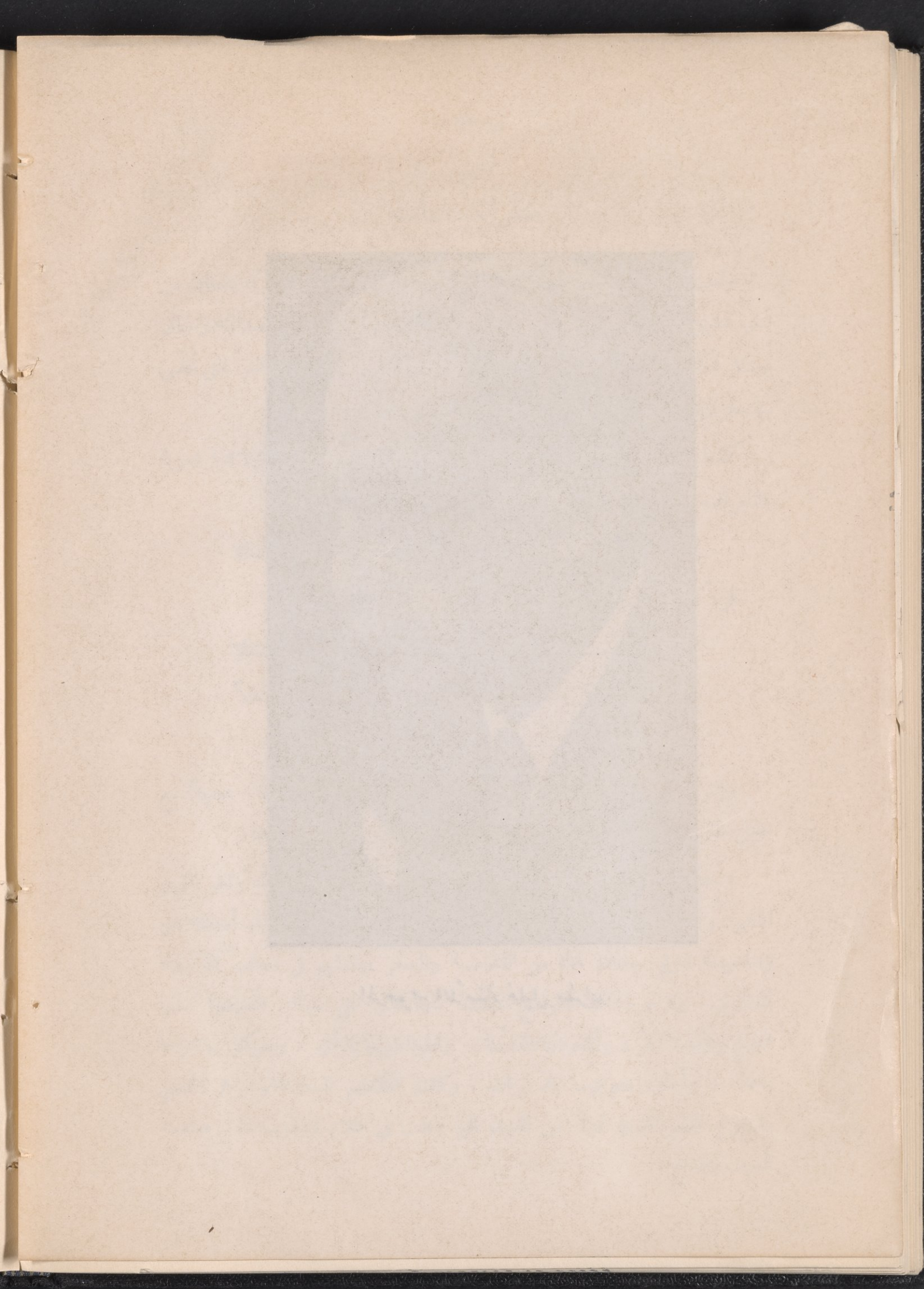
تنسّمنا تحيتكم فأحييت وإن تك زادها الشوق اشتعلا
وما أرواحنا متفرقات جري الوادي جنوباً أو شمالاً

ونشرت جريدة « النيل » في عددها الصادر في يوم ١٨ يناير ١٩٤٥ حديثاً مع خليل مطران بعنوان « بين يدي ملك القريض » رأيت أن أثبتته بنصه هنا :

« خليل مطران » اسمٌ رنّ في سمع الأقطار الناطقة بالضاد منذ أواخر القرن الماضي . وكانت ، ولم تزل ، له في القلوب مكانة وفي النفوس اعتلاق . وقد أحاطته هو وصاحبيه شوقي وحافظ هالة من القداسة والسحر وضعتهم في مصاف الأصفياء الممتازين . ولا جرم ، فقد قاموا مع النهضة كأنما كانوا على ميعاد ، فأصبحوا لسانها البليغ وبلبلها المغرّد وأنشودتها المفضّلة . رفعوا صوتها بالرأي ، وحرّكوا مشاعرها بالحداء ، وأسألوا دموعها بالذكريات ، وكانت أقلامهم البارة وشعرهم الحماسي وشدهم الملهم القوي قوةً من القوى التي صنعت في ظلام الخطوب ما لم يصنعه السيف والمدفع .



المرحوم الأستاذ خليل مطران



عد بنظرك إلى الوراء قليلاً ، فإنك كنت ترى الناس يتسمعون لدى كل حادث إلى صوت هذا الثالوث قبل أن يتلفّثوا لأعمال الزعماء السياسيين أو الأبطال المدافعين . فقد كانوا أشبه ما يكونون بهذا النفير الذي ينبّه الغفاة إلى واجبه ، ويوجه الضالّين إلى طريقهم .

وإن تاريخ الشعوب العربية سوف لا يضمن على ثلاثتهم بأنصع وأجمل مكان من صفحاته .

وقد غدوت أمس إلى ملك القريظ «مطران» في « الجرانند أوتيل » حيث أتيت لي فرصة الجلوس إليه ساعة من زمانٍ كانت من أندي الساعات على قلبي وأدناها إلى نفسي . فهو رغم بلوغه الحلقة التاسعة من عمره ، لم يزل متمتعاً بأمضى عقل وأسحر حديث وأجذب شخصيّة . وقد كنتُ أحسّ وأنا بقربه بأن روحي شوقي وحافظ تملّقان حولنا ، وأن الماضي والحاضر يجتمعان ، وأن عبارات « مطران » إنما تنطلق ، حين تصدر منه ، من معينٍ يشرق بالذكرى ويضوع بنفحات التاريخ . . .

و « مطران » ربة القامة ، نحيل الجسم ، نشيط الحركات ، يمشي في غير وهنٍ ، ولغته فصيحة جزلة وجميلة تمشي فيها النكتة اللغوية ، فلا تكاد تخلو منها إلا قليلاً .

تسأله السؤال ، فلا يترث في الإجابة ، وإنما ينبعث بها كأنه قد أعدّ للأمر عدته ، مما يدل على سرعة بادرته واتساع اطلاعه وبُعد غوره ومضاء عقله . وقلّ أن يقف أو يتردد أثناء الحديث ، فهو يمضي فيه حتى نهايته ، أشبه بالفرس يريد أن يدرك غايته .

أعجبنى منه أنه لا يتحدث عن نفسه كثيراً ، ولا يزدهي بشعره وبماضيه ، وأنه يحاول أن يجعلك تفهم أنه أقلّ مما يذكر عنه ، وأن كل ما كتبه كان بهريق أصدقائه ولعانهم .

قلت (لعزته) : لعلك وجدت السودان كما أحبت ، ولعله راق لك ؟

قال : الحق أنني أتيت مريضاً متداوياً ، وقد كان صديقي يوسف نحاس مشجعي على هذه الزيارة . فقد زار هذه البلاد من قبل خمس مرّات ، وأحبها .

وقد تكتمت خبر سفرى عن المتصلين بى ، وقلت لعل الله مع السكوت والسكون
يهيئ لى الراحة التى تهب إلى جسمى صحته وتعيد إلى صوتى الذى اختطفه منى
السعال . بيد أن كرم السودانين والمصريين والسوريين والبنانيين من اخواننا أبى عليهم
إلا أن يعنوا باستقبالنا والترحيب بنا . وها نحن فى هذا الفندق ما نخلو لحظة من وفود
تشرفنا أو دعوات إلى حفلات عامة أو خاصة ، مما اضطرنا إلى ارجاء الدعوات الأخيرة
لأن الأولى تخص هيئات أو معاهد .

وقد إتفق حين وصولنا أن كانت موجة الحر شديدة ، ثم تلطف الجو . وها أنت
ترى أننا ونحن فى الشهر الشديد البرد عادة نحس بأننا فى الربيع . وإذا كانت السماء
تداعبنا بخطراتها اللطيفة ثم تقوى أحيانا حتى تشبه الرياح ، فهي كاليد الخنون ، تلتف
ثم تشدد ، وفى كليهما رحمة وفى كليهما رضى .

وان أميز شئ وجدناه هو صفاء الجو المستمر ، هذا الصفاء الذى لم تشبه منذ مجيئنا
سحابة . ثم جفاف الجو ، فإن الندى الذى يتساقط فى مثل هذا الوقت فى البلاد
الأخرى ويحدث رطوبة يقلل من محاسنها فعلا .

ثم انتقل للحديث عن الخرطوم فقال :

وجدنا الخرطوم مدينة جميلة بادئة العمران بدءاً حسناً ، وتمنينا لو أن المثلث الذى
تألف منه هذه المدينة والخرطوم بحرى وأم درمان يصبح مدينة واحدة كبرى ، اذن
لتكونت حاضرة من أعظم حواضر الشرق ومن أجدرها بالازدهار وبازدياد
العمران ، لا سيما وأن فى صدر هذا المثلث ملتقى النيلين الأزرق والأبيض ، وهو
ملتقى نحب أن يكون معناه تمثيل الملتقى فى العاطفة الأخوية بين القسمين الكبيرين
الذين يرويهما هذا النيل ويحييهما .

قلت : هل ترى أن دولة الشعر العربى فى اضمحلال ، وما رأيك فىمن يقول بفناء
الشعر تدريجاً ما عدا الغنائى منه ؟

قال ، وقد برقت عيناه : ان الشعر يتحول بتحول العصور . وهذا التحول ينبع من
عوامل الحضارة وما تتأثر به النفوس من عوامل خاصة . والنفوس واسعة كالدينا

لا حدود لها ، وطواريء التحسينات المادية من مخترعات متنوعة . ومن هنا يأتي التجدد في الشعر العربي من مختلف بلدان الشرق على الصور التي طالعنا دواوينها ، ومن هنا يأتي الطور الحديث الذي هو أثر من آثار الاتصال القوي بين المدينتين الشرقية والغربية . وفي هذا العهد ، وهو عهد انتقال ، قد يبدو لنا الشعر ضعيفاً لأنه إذا قيس إلى مقولات الأزمنة السابقة لا يضارعها إجادَةً وحسن أداء ، ولكنه بما أحدث فيه من أفكارٍ وأخيلةٍ مستمدة من العصر الراهن وأحواله ، لا بد أن يفضي إلى ازدهار كبير تلقى فيه مختارات المحاسن التعبيرية في نواحي التفكير والخيال .

فإذا بدا لنا استنكار شيء من هذا الجديد ، فهو لأن الجديد بالذات ليس في الواقع غاية أدركناها ، وإنما هو تمهيد لأدبٍ متى استقرت عواطف الجمهور وأحاسيسه وأفكاره على قبوله واستحسانه ، يستطيع — فيما يعتقد — الحكم بأننا قد خطونا في السبيل التي كان لا بد لنا من المرور بها لبلوغ الغاية الجديدة . ولا يخفى عليك أنه لا تكون موجة عالية إلا بعد أن تسبقها موجة منخفضة .

قلت : يلاحظ أن شخصية أدبنا العربي بين الآداب العالمية أقرب إلى الجمود ، فـ ترى السبب وكيف نعالجه ؟

قال : في الواقع ان مصدر ضعفنا الأول هو أن الكثيرين من كتابنا لا يملكون القدرة على الإحاطة بالموضوع قبل الكتابة عنه . فنحن إذا وصفنا أو تحدثنا ، جئنا في كل ذلك بمظهر الشيء لا خبره ، واستعنا بالخيال قبل الاستعانة بالواقع . فقل أن يجد القارئ في كتابتنا الكائن الحي الذي يعرفه في نفسه وفيمن حوله ، وبواعثه المختلفة . ولعل ضعف أداة كتابنا وشعرائنا اللغوية في مقدمة دواعي عجزنا .

ولذلك ، يجب أن نتمكن من لغتنا التمكن الكافي لأداء الأغراض كبيرة وصغيرة ، وأن يعمل الكاتب أو الشاعر على أن يخلق الشخصية الحقيقية القائمة لمن يكتب عنهم أو لما يكتب عنه ، كما يخلق شخصيته الخاصة ، وذلك بأن يتوفر على دراسة كل ما يجب الكتابة عنه والقول فيه ، بالتدقيق والتسلسل ، وتبيين العلل والمعلومات ، لا تفوته أجزاء في الظاهر ولا دقيقة في الباطن .

ومن هنا ترسم شخصية الكاتب أو الشاعر ، وتنطبع في النفوس . أما أن يكون فقط لمّاماً لم يأت بشيء من عنده ، فهذا لا يمكن أن يدخل بين أصحاب العبقريات ، والعبقرية كما عرفوها هي الصبر الجميل .

من أين خلقت عبقرية تشرشل وشكسبير وراسين وكورنيل وغيرهم ؟ إنهم عرفوا ما يريدون ، وتابعوا في كثير من الصبر الجهاد في سبيل الوصول الى مطلبهم حتى وصلوا اليه . قلت : هل بين أدبائنا وشعرائنا في بلاد الضاد من يصلح أن يكون كاتباً أو شاعراً عالمياً ؟

قال : لا مع الأسف . ان بعض الكتب والقصائد التي استحسنت بين أبناء العربية حين ترجمت لم يبلغ أثرها في الأقطار الأجنبية أدنى ما بلغه بيننا . إننا حتى الآن في طور التجارب ، وهي محنة . هل رأيت كاتباً أو شاعراً صور لك فوجدت في كتابته أو شعره صورتك ؟ ان هذه الحالة تدعونا إلى بذل الجهد ليدرك رجالنا الممتازون الدرجة التي أدركها الرجال الممتازون في الأمم الأخرى .

قلت : هل للجو تأثير على الانتاج ؟ وما ترى في جو السودان من هذه الناحية ؟

قال : إن للجو تأثيراً على الانتاج حقيقة . ولذلك فالبلاد الشمالية دائماً أكبر إنتاجاً من البلاد الجنوبية . على أن عوامل الجو يمكن أن تحارب بالتربية الخاصة ، مما يجعلها تدفع الى أن ننتفع بها ونستخرج خير ما يمكن أن ينتفع به ويستخرج من الكائن الحي . ولعلك تلاحظ الدلالة على فعل الجو بأن نشاطك خلال البرد يدفعك إلى أعمال لا تستطيعها في الحر إلا وأنت متكلف تعب . كما أن للجو الجبلي أثراً لا يكون لجو الوادي ، وهكذا .

على أن تنوع التربية في الأمم المختلفة يخفف قدر الإمكان من مفعول الجو .

وقد جاء في الكتاب الكريم « ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة » . إنها الإنسانية مهما تعددت ، فهي كالجسم كل جزء منه يؤدي خدمة خاصة .

ولقد انضح كثيراً أن رياضة النفس بالتدريب والتوجيه في هذه الناحية تأتي

بالمعجزة كما هو الحال في التدريب العضلي الرياضى ، مما نشاهده في الاستعراضات الرياضية
والألعاب الحواة .

ورجلٌ أجنبيٌّ عن السودان في موجات الحرِّ التي تكابدها هذه البلاد ، قلَّ أن
يوفق إلى إنتاجٍ حسن . ولكن السودانى يستطيع بتمرّسه على خصائص بلاده
الاقليمية وترويض نفسه أن يوفق الى كثير .

وما من شئ يدخل في دائرة المستحيل في هذه الدنيا في تكوين الأمم وترقية
وسائلها لبلوغ الغايات التي ترى أنها خصّت بها و خلقت لها .

ونشرت مجلة « السودان الجديد » فصلاً عن « شاعر القطرين خليل (بك) مطران »
في عددها الصادر يوم ٢٦ يناير ١٩٤٥ جاء فيه :

« يحظى السودان في هذه الآونة بزيارة (حضرة صاحب الغزة) الشاعر الذائع
الصيت خليل (بك) مطران شاعر القطرين . بل من الناس الآن من راح يلقّبه
بشاعر الأقطار العربية . ولا غرو ، فالوحدة العربية التي يعمل لها الآن أقطاب السياسة
في بلاد الشرق العربى قد كان لها في لقب الخليل « شاعر القطرين » أسطع الأدلة ،
إذ طفق هذا الشاعر الكبير يؤدى رسالة هذه الوحدة منذ سنوات وسنوات .

والخليل ليس بالجهول المكنانة من أدباء قطرنا السودانى ، فهو محبوب منهم .
وقد حدث أن راسله بعضهم إعجاباً به . ومما يروى بهذا الصدد أن البريد قد حمل
يوماً إلى مطران وهو بالقاهرة رسالة من السودان يقول فيها مرسلها السودانى إن له
صديقاً عزيزاً لديه استأثرت به رحمة الله ، فأصبحت حياته بعد فراقه لا تطاق .
ورجاء أن يبعث إليه بشئ من شعره يكتبه على صورة الفقيد التي كانت مع الرسالة .
فلم يخيب الشاعر الرقيق الإحساس رجاء صاحب الرسالة الحزين الذى لم تكن له به
معرفة شخصية ، بل نزل عند رغبته وأعاد إليه الصورة بعد أن كتب عليها هذا
الشعر الرصين :

يا صديقاً: شعرت إذ بان غنى انه حيل بين روحى وبينى !
فغدونا طيفين ، ترمق رسمى منه عين ، ورسمه نصب عيني !

وخليل مطران هو ثالث ثلاثة ما برحت لهم الصدارة في دولة الشعر العربي في هذا العصر . ويحكى عن المطران انه قال : أنا وحافظ وشوقي يتكوّن منا «شاعر» !
والمطران هو من أبناء الأسر الوجيعة في بلاد الشام . وكان مولده عام ١٨٧٣ في بعلبك . وبعد أن نهل من معين المعارف في مدارس بيروت وتلقى أسرار اللغة العربية على أيدي الشيخين خليل اليازجي وشقيقه ابراهيم ، سافر إلى فرنسا ، وأتم علومه العالية بمدينة النور . وعندما هبط أرض الكنانة عام ١٨٩٣ ، اشتغل بالصحافة في جريدة « الأهرام » ، ثم أنشأ « المجلة المصرية » عام ١٨٩٩ وأسس بعدها مجلة « الجوائب المصرية » . ومن ثم ذاع فضله وأدبه بين قراء العربية .

وهو الآن من الخبراء الذين يستأنس بأرائهم في المسائل الاقتصادية وإدارة البنوك . وله من المؤلفات « مرآة الأيام في التاريخ العام » وديوان شعره وبعض المعربات والتمثيلات .

وكتبت عنه مجلة « الزهور » ، وهى من المجلات القاهرية التى كانت تصدر قبل نشوب الحرب العالمية الأولى ، قالت :

« نشأ خليل تحت سماء سوريا بين أوديتها الخضراء وجبالها البيضاء ، أمام بحرهما الصافى وأمواجه الزرقاء . فجاء شعره رقيقاً لطيفاً وترعرع وشب فى وادى النيل بين آثار المدينة القديمة وصروحها العظيمة ، فكان لإنشأؤه فخماً عظيماً . . . فالخليل شاعر الشعور والخيال ، وشاعر بعلبك والأهرام . . . أما من حيث المبنى فقد عرف كيف يستفيد من لغات الأجنب دون تقليد ، وينهج نهج قدماء العرب دون تقييد ، فاحتفظ بصيغة العرب فى التعبير ، وأدخل أساليب الفرنجة فى التأليف والتفكير » .

ومما هو خليق بالذكر ، أن خليل مطران هو أول شاعر فى مصر أقيمت له حفلة

تكريم كبرى بالجامعة المصرية في يوم ٢٤ ابريل ١٩١٣ تحت إشراف الخديوى عباس الثانى ، عند ما منحه (سموه) نيشاناً رفيع الشأن اعترافاً بفضله على الأدب . وقد افتتح هذه الحفلة (الأ مير) محمد على نيابة عن شقيقه الخديوى عباس .

ولملى القارئ بعض ما قاله (الأ مير) محمد على فى خطبة الافتتاح :

يسرّنى أن أراس حفلة أدبية لتهنئة شاعر مجيد له فى مصر والشام أصدقاء كثيرون يقدّرونه حق قدره .

ثم قال (سموه) أخيراً فى تلك الخطبة الطويلة :

وللأسباب التى أبديتها ، أعدّ مطران الشاعر العصرى الذى نحتفل به من الطبقة العالية الراقية الرفيعة . ولهذا أترك لكم أيها الشعراء والخطباء العناية بإيفائه حقّه من التمجيد والتكريم . والله يؤتي كل ذى فضلٍ فضله ، والله ذو الفضل العظيم .

وقد اشترك فى تكريم « مطران » نخبة من أدباء العربية وشعرائها البارزين ، وفى مقدمتهم شوقي وحافظ .

وقد جاء فى قصيدة شبلى (بك) ملاط مندوب أدباء سوريا ولبنان فى الحفل قوله :

فاهناً بما أدركته ولعلّه	قد جاء توطئة خير مقام
واحرص على اخوانك الغر الألى	قاموا بعهد ولاك أي قيام
أما أنا فبلطف روحك شاعر	والشوق شوقي والهيام هيامي
فاذا سمعت النوح فهو صبايتي	وإذا استطبت الريح فهو سلامي

والحق إنه يُعزى إلى « مطران » الفضل فى إنشاء مدرسة الشعر التجديدية فى الأدب المعاصر .

فهرس

صفحة

٣	الكتاب والمؤلف : تعريف بقلم الأستاذ وديع فلسطين
٦	مقدمة المؤلف الدكتور يوسف نحاس
٧	الفصل الأول : الرحلة إلى السودان
١١	تقرير عن الأحوال الاقتصادية في السودان
١٥	اقتراحات للنهوض باقتصاديات السودان
٢٤	الفصل الثاني : جولة في الاقتصاد السوداني
٢٥	تقدم السودان الاقتصادي والثقافي
٢٨	هل تتعارض مصلحة مصر مع مصلحة السودان
٣١	خواطر سودانية
٣٣	مقال ورد
٣٥	إقتراح إنشاء شركة سودانية مصرية في الجنوب
٣٧	في جريدة « الاهرام »
٣٧	تعليق جريدة « النيل »
٣٩	حديث في مجلة « كردفان »
٤١	هل يستطيع إنشاء بنك أهلي في السودان ومنى

صفحة

٤٤

الفصل الثالث : بين إخوة كرماء — حفلة النادي المصري

٤٦

حفلة الجالية السورية

٤٧

حفلة النادي السوري

٥٠

حفلة ملجأ القرش

٥١

حفلة شيخ الأندية

٦٠

في النادي النوبي

٦٤

في نادي حلفا

٧٠

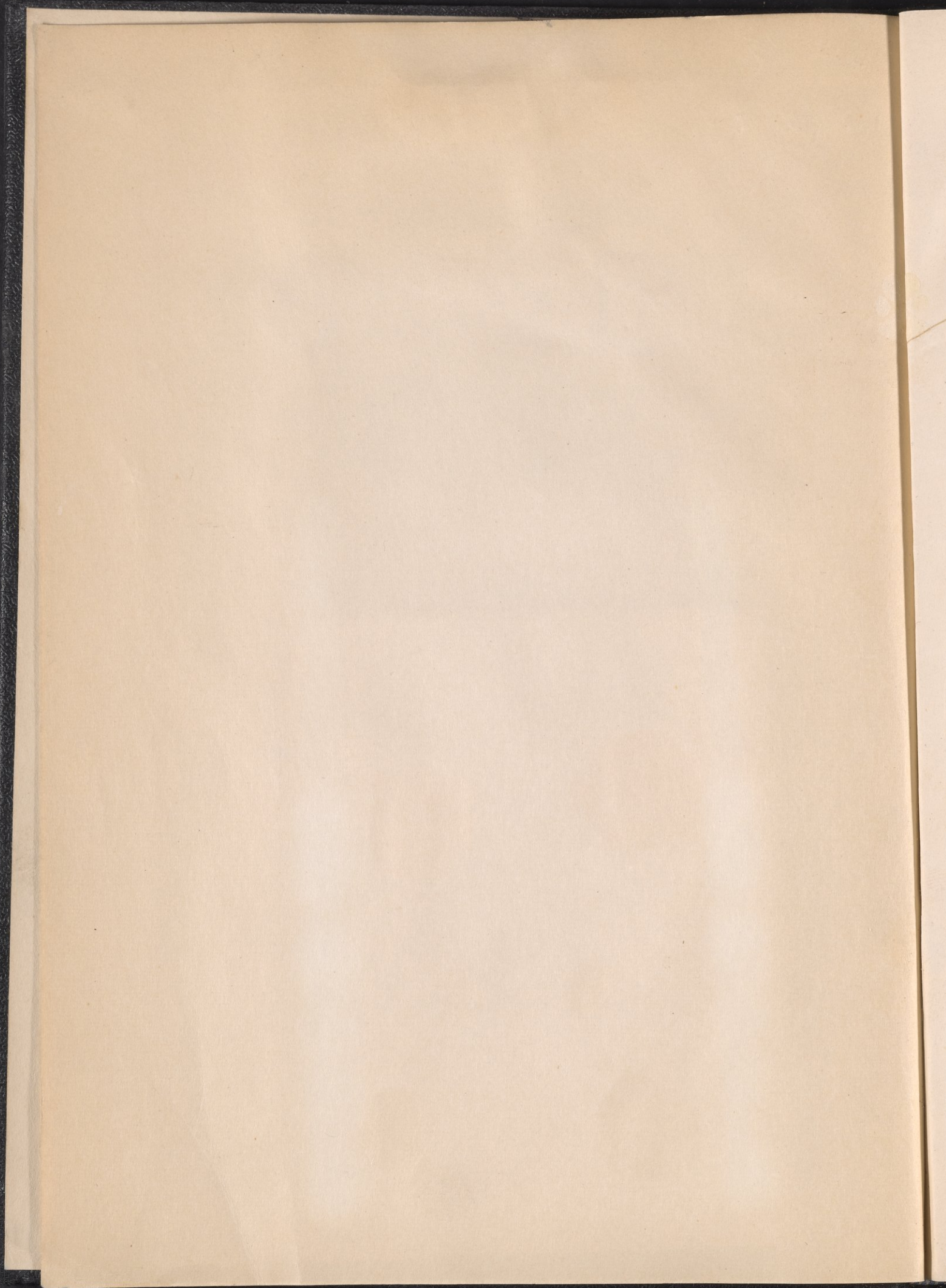
مطرائيات

استدراك

صفحة	سطر	خطاً	صواب
٤٨	٤	سبب	وسبب
٤٨	١٠	ولمّا	ولمّا
٤٨	١٠	ومضى	ومض

مؤلفات الدكتور يوسف نحاس

- ١ - الفلاح (حالته الاقتصادية والاجتماعية) باللغتين العربية والفرنسية .
- ٢ - مصر وزراعة الدخان - باللغتين العربية والفرنسية .
- ٣ - للذكرى (حالتنا المالية والاقتصادية عام ١٩١١ - ١٩٤٣) .
- ٤ - القطن المصرى (برنامج سديد لاستغلال الأرض الزراعية) تأليف
المسيو ص . أفيكدور وترجمة الدكتور يوسف نحاس سنة ١٩٣٣ .
- ٥ - العيد الخمسينى للمحاكم الأهلية (ترجمة خطبى المغفور له عبد العزيز فهمى
باشا والمغفور له محمد لبيب عطيه باشا الى اللغة الفرنسية بقلم الدكتور يوسف
نحاس) سنة ١٩٣٣ .
- ٦ - كتاب « الأحوال الزراعية فى القطر المصرى أثناء حملة نابليون بونابرت »
بقلم المسيو ب . س . جيرار وترجمة الدكتور يوسف نحاس و خليل مطران
سنة ١٩٤٢ .
- ٧ - تقرير عن حالة السودان الاقتصادية والاجتماعية - مارس سنة ١٩٤٥ .
- ٨ - صفحة من تاريخ مصر السياسى الحديث (مفاوضات « عدلى - كرزى »)
بقلم الدكتور يوسف نحاس سنة ١٩٥١ .
- ٩ - مجلة الرابطة الفرنسية . كلمة الدكتور يوسف نحاس فى تأبين المغفور له
الكومندور الياس توتونجى ١٨٩٠ - ١٩٤٧ .
- ١٠ - جهود النقابة الزراعية المصرية العامة فى ثلاثين عاماً يقدمها الدكتور
يوسف نحاس سنة ١٩٥٢ .
- ١١ - ذكريات (سعد . عبد العزيز . ماهر ورفاقه فى ثورة ١٩١٩ . تصرفات
حكومية) بقلم الدكتور يوسف نحاس سنة ١٩٥٢ .
- ١٢ - القطن فى خمسين عاماً . بقلم الدكتور يوسف نحاس سنة ١٩٥٤ .
- ١٣ - ذكريات السودان . بقلم الدكتور يوسف نحاس سنة ١٩٥٥ .



i 14512865

B12906967

DUE

DT
108
N3x
1955
c.1

JAN

1975



DT
108
N3x
1955
c.1